

سیدوی بکر

روایۃ

لیل و نهار

ایں خلق لیل و نهار
ایں خلق لیل و نهار

مکتبہ مدبولی

الكتاب: ليل ونهار

(رواية)

تأليف: سلوى بكر

الطبعة: الثانية عام ٢٠٠٤

الناشر: مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٥٨٨٦

الترقيم الدولي: ISBN 977-208-449-x

ساولى بكر

ليل ونهار

رواية

مكتبة مديولى

هكذا حملت نفسى وسرت إليه: مغمومة وطالعة روحى من حرّ
يونيو ولزوجته، والمجلة التافهة، التى اضطرتت إلى العمل فيها،
ورئيسى الشنيع حسن عبد الفتاح، وأرصفت الشوارع الوسخة الرديئة،
الجو العام الكئيب فى البلد. لا حماس فى روحى ولا شعور بأى أمل،
لا شجر أستظلّ به فى الطريق غير شجرة اليأس المورقة، المزدهرة
دوماً فى داخلى، على رغم ما تطالعتنى به الصحف كل يوم، كل شىء
فى تمام التمام: "وطن حر وشعب سعيد".

المشكلة أن رئيسى حسن عبد الفتاح، شخص غلس ومتعب، من
فصيلة أسمىّها "انفتاحى معشوا"^(١)، من يوم أن تعرّفت عليه
واشتغلت معه فى القسم، وهو - فى نظرى - التجسيد الحىّ لمرحلة

١ - انفتاحى معشوا: دابة إنسانية ظهرت وانتشرت انتشاراً مريعاً منذ بداية الزمن
الساداتى، وأتباع سياسة الانفتاح الاقتصادى على الغرب. وتتميز هذه الدابة الإنسانية
بفجاجة الشكل والسلوك، وقدرتها العالية على توظيف القيم والمعادن والدين والأخلاق
السائدة لصالحها، كما تتميز بقدرتها العجيبة على القفز والتسلق الاجتماعى، وهى
قادرة على التحوّل والتحوّر، لتبقى المهيمنة والمتسيّدة؛ فتبدو تارة فى عباءات دينية،
وتارة فى ملابس عصرية، وهى مع كل المذاهب السياسية والاقتصادية. أمّا من حيث
الشكل فلها فم مربع قادر على التهام أى شىء، ولها خضم ضخم لمص الدماء، وعقلها
أدنى ما فيها، مُصاب باختلاطات معرفيّة، وانحطاطات ثقافيّة؛ يجعلها لا تعرف إلا
السطحيّ والمباشر، ولا تهضم إلا الفت والهش، وتفتته حولها نفت الحيّة للسّم.

الانحطاط التي نعيشها. سألته قبل أن أذهب: وهل معلوماتك عن الرجل كافية؟ أعنى هل أستطيع معرفة أى شىء عن تاريخه، طبيعته نشاطه فى دنيا الأعمال؟ فأنا أريد أن أفهم المسألة أولاً، فلا يعقل أن أروح إليه وأقول: أنا سوسن أبو الفضل المحررة فى ليل ونهار، حضرت وفقاً للموعد المتفق عليه مع الأستاذ حسن عبد الفتاح. بالطبع لم آخذ حقاً ولا باطلاً، من ذلك الرئيس المزعوم الوهمى؛ فحسن عبد الفتاح لا يمكن أن يريح أحداً، ولا يمكن أن يتصرف كإنسان سوى طيب، يعطى كل ذى حق حقه، أو يقول كلاماً خيراً ينتفع به الناس.

قلت فى نفسى وأنا أمضى فى الطريق: طيب افترض يا حسن يا عبد الفتاح أن الرجل ليس رجل أعمال ولا يحزنون، لكنه واحد من المشتغلين فى الأعمال الممنوعة مثلاً، واحد من أولئك الذين اكتشفوا طرقاً جديدة ومبتكرة لغسل أموالهم البذرة، المجنية بالحرام، أو أنه واحد من رجال الأعمال الجدد الراغبين فى تلميع أنفسهم اجتماعياً وفى تسليط الأضواء عليهم، وربما راغب فى الترويج لأعماله من خلال فكرة المسابقة الطريفة هذه. والله يا حسن عبد الفتاح، من يوم أن عرفتكم، ورأى بك أنك تافه، كالطبل الأجوف، تجرى وراء الجلجلة والفرقة والطنطنة والهيصه، دون أى شىء آخر، قد يكون نافعاً مفيداً فى هذه الدنيا، فأنت وبمجرد أن سمعت حكاية «المليون جنيه»، صرت كفائد التوازن، لا تستطيع التعقل أو التروى.

لكن على أية حال، وبالنسبة إلى كلة يحصل بعضه، محروقة مجلة ليل ونهار، محروقة بتفاهتها وسخافتها ومحرريها الأغبياء وحسن عبد الفتاح، فلو ثبت أن الرجل ممول المسابقة نصّاب أو تاجر

مخدّرات، أو سلاح، أو آثار قديمة، فلا شأن لى بالمسألة؛ فأنا محررة متواضعة، لا ناقة لى ولا جمل فى هذه المجلة، ولو تهدّمت الدنيا، فاسوف تقع على دماغ حسن عبد الفتّاح وأمّثاله قبل أن تقع على دماغى، ومطرح ما تدقّ يكون مرساها.

ها أنا أصل إلى جاردن سیتی أخيراً، أصل إلى العنوان بسهولة، أصعد سلّم العمارة القديمة - أحد الشواهد على عزّ قديم فى مدينتنا العجوز الشائهة، أضغط جرس الباب الكبير على يمين السلّم فى الدور الأول، تفتح لى الهيفاء البيضاء، وتتفحّنى ابتسامة محسوبة بحسابات شغل السكرتارية، وبعد أن أعرفّها بنفسى تقودنى إلى غرفة استقبال فى الواجهة وتتركنى وحيدة فى داخلها، ثم تخرج وتغلق الباب.

أتردد قليلاً، ثم ألقى بنفسى على فوتييه قديم بزخارف فارسية، كان أوّل ما قابلنى أمسح عرقى بمنديل ورقى، وأتهدّ بارتياح ورضا لروطية الهواء المكثّف فى الحجرة. أسمعها من خلال الزجاج الفاصل بين مكائى ومكانها فى الحجرة الأخرى تعلن عن حضورى لصاحب المقابلة عبر جهاز الهاتف الداخلى، أتخيل الرجل القادم للقائى كمعظم رجال الأعمال، والوزراء، والرؤساء، وكل الشخصيات الأخرى المتسلطة فى البلد، والتى تظهر صورها دوماً على صفحات الجرائد وقنوات التلفزيونك قبيح، أصلع، بكرش منفوخ، وشفاه رقيقة، ونظرات عنيفة متوعّدة. تهتّد مرة أخرى فى محاولة منى للاستعداد لابتلاع جرعة إضافية من القرف المزمّن فى حياتى. بعد أقلّ من دقيقة واحدة خاب ظنّى تماماً، فقد دخل الرجل نحيلاً، وسيماً، بشعر أشيب مسبّسب، قدّرت عمره بين الثامنة والأربعين والخمسين.

سَلِّم. جلس قبالتى، ثم دخل فى الموضوع مباشرة وقال:
- الحقيقة أنا كلّمت رئيس التحرير، وهو تحمّس جداً للفكرة،
وأحالنى إلى الأستاذ حسن عبد الفتّاح فوراً، فشرحت له تصوّرى
للخطوط العريضة الأولية للمسابقة، فرحّب كذلك بالموضوع، وقال
إنه سيفرّغ صحفياً خصباً له، ويبدو أن اختياره قد وقع عليكِ.
كان يتكلم بسرعة ولا ينظر فى اتجاهى بل إلى الأرض، التى
رحت أنظر إليها بدورى فاكتشفت أنها مفروشة بسجّادة فاخرة
قديمة باهتة الألوان.

بدا الرجل لى، وكأنه من ذلك النوع البشرى المستغرق فى ذاته،
المغرم بإنجاز الأشياء على وجه السرعة، ووفقاً لمخطط مسبق
مرسوم فى رأسه، غاظنى أنه لا ينظر إلّى، لا يلحظنى بما يكفى على
رغم وجودى قبالتة، اعتبرت ذلك نوعاً من اللامبالاة بشخصى يندرج
تحت بند قلّة الذوق وعدم الاكتراث، مقابل ذلك وكحلّ دفاعى داخلّى
مؤقت، ريثما تتضح الرؤية، قرّرت أن أسمّيه بينى وبين نفسى
الأستاذ منجز السريع.

ضبطت صوتى على موجة: محايد / عملى / موضوعى، وقلت:
- الحقيقة أنّ فكرتى عن المسابقة محدودة جداً. الأستاذ حسن
عبد الفتّاح قال لى باختصار إنك - لم أستعمل حضرتك كما اعتدت
فى مثل هذه الحالات - رصدت مبلغ مليون جنيه لأفضل اقتراح يصل
من قراء المجلة بخصوص فكرة مفيدة مبتكرة لصالح المجتمع، أو
بعض الناس فيه. مليون الجنيه ستكون جائزة لصاحب أفضل فكرة
بالطبع، وأنت ستكفل بتنفيذ هذه الفكرة بعد ذلك فى حدود مليون
جنيه أخرى.

وواصلت كلامي قائلة:

- الأستاذ حسن اقترح أن يكون عنوان المسابقة: "فكر واكتب واكسب"، وأنا شفت أنه عنوان يشبه إعلانات السيرك، بالإضافة إلى أنه ضعيف جداً من الناحية الصحفية؛ لأنه يفتقد المعلومات الأساسية الخاصة بالموضوع. عموماً، أنا اقترحت مبدئياً عنوان: فكرة نبيلة للوطن بمليون جنيه ولك مليون جنيه.

لم يقاطعنى ولم يعلق على كلامى وكأنى أحادث حائطاً رفع بصره عن الأرض، ثم نظر إلى نظرة شمولية. بدأت من شعري المهوش بسبب الحر والعرق، وانتهت بحذائي، الذي أفكر في تحويله إلى شبشب منزلى عند أول فرصة مواتية لشراء حذاء جديد، تريث قليلاً، ثم نطق:

- تفاصيل العنوان تخصصكم في المجلة، لكن المهم هو الالتزام بشروطى الخاصة، فأنا أشرت عدم ذكر اسمى بأى شكل كممول للمسابقة، كما أنى صاحب القرار النهائى فى تحديد أفضل فكرة مرسله إلى المجلة ومنحها الجائزة، يعنى أنتم تشكّلون لجنة فى المجلة عندهم، أو يتم الموضوع بدون لجنة؛ فهذه مشكلة لا تعينى، وبالطبع سيكون اختيارى للفكرة الأميز فى حدود المشروع والمنطقى، وأنا سأطلع على الخطابات الأفضل الناتجة عن الفرز؛ لفحصها والمفاضلة بينها.

قلت لروحي بعد سماعى أنا أنا، أنا: أعوذ بالله من كلمة أنا يا أخى. أمّا له فقلت، وقد داخلى شعور غامض مستريب، بأن المسألة أبعد من غسيل أموال قدرة، يعنى فيها "إن".

- أنت حرّ، براحتك، لكن أرجو أن تكون فى الصورة بعض الشئ؛

فأنا المسئولة في المجلة عن نائب "بريد القراء" وهذا الباب يتلقى أسبوعياً ما لا يقل عن ثلاثمائة أو أربعمائة رسالة من مصر وبقية العالم العربى وكلها تتضمن مشاكل عاطفية واجتماعية مختلفة، يعنى فى مسابقة بمليون جنيه، توقع وصول آلاف مؤلفة من الرسائل. أسند ظهره إلى الكرسي، ثم ركز بصره فى نقطة وهمية أمامه، كما يفعل عادة ممثلو المسرح المبتدئون ثم ردّ يهدوء:

- معلوم. ستصل رسائل لا حصر لها بسبب المكافأة الكبيرة. الحقيقة أن فكرتى هى أن تتلقى الرسائل بواسطة صندوق خاص فى المجلة، وتفرزها وتصنفها وبيوب الأفضل منها وفقاً لأبواب محددة مثل: اختراعات، اكتشافات، أفكار اقتصادية، أفكار اجتماعية، وهكذا.

بعد ذلك أطلع على الرسائل، وهذا العمل سيجرى أسبوعياً أولاً بأول، ووفقاً لورود الرسائل، وهكذا نصفى الرسائل، ونستبعد التافه منها أولاً بأول.

بينما كنت أستمع لكلامه، لعنت فى سرى جود حسن عبد الفتاح، الذى ورطنى هذه الورطة، فكيف سأقوم بفرز كل هذه الرسائل؟ وكيف سأقوم بتبويبها؟ رحت أفكر فى ذلك وأنا أكاد أنفجر من الغيظ، فهذا العمل يحتاج إلى جهد فريق من باحثى المركز القومى للبحوث، وأنا مطالبة بأن أؤديه بمفردى. وبينما رحت أفكر على هذا النحو، انبعثت فى رأسى فكرة بنت الذين، مؤداها أن هذا الرجل اللذيق الجالس أمامى فى منتهى الأدب والهدوء، ما هو إلا جاسوس. واحد من الجواسيس العصريين المشتغلين لحساب واحدة من الجهات الكثيرة المشتغلة على البلد الآن، لسببين أولاً: ما

الذى يدفعه لبعزقة وهدر فلوسه على هذا النحو فى مسابقة عبيطة كهذه؟ خصوصاً أن معظم رجال الأعمال من أمثاله بخلاء، جلدة، ويموتون فى سبيل القرش الأحمر الذى لا قيمة له الآن، وثانياً لأن: حكاية التصنيف والتبويب غريبة بعض الشيء. ثم ما سبب إصراره على أن يكون القرار النهائى فى المسابقة له؟.

ارتحت لنظرية المؤامرة هذه، والتى لا أرتاح لها عادةً عند تفسير أسباب كوارثنا وخيبتنا المزمنة الثقيلة، وسرعان ما طمأنت نفسى القلقة وأنا أقول لها: فعلاً، الرجل مريب جداً، وحسن عبد الفتاح أراد توريطى فى عمل قذر، وحتى إذا لم يكن حسن على علم بكل هذه التفاصيل، والهدف من ورائها؛ فهو - فى النهاية - متواطئ مع هذا «المنجز أبو سريع»، ورئيس التحرير من المحتمل أن يكون قد طبخها معه فى الكواليس أيضاً. فهو من نوع "السمسار الجبّار"^(٢) الممتلك لرادار رهيف حسّاس لكل ما يمكن اقتطاعه من فلوس الناس.

بدأت أرتبك بينما الأفكار تتدافع فى رأسى، فالرجل غامض بلا شك، خصوصاً وأن شكله بدا لى أقرب إلى أشكال الممثلين منه إلى أشكال رجال الأعمال، ببذلته القطن ذات اللون البنى الفاتح، وقميصه الخفيف قرميدي اللون. قلت لنفسى وأنا أتأمل سرواله المجعد: لا.. لا يمكن أن يكون رجلاً للأعمال بأية حال من الأحوال. لا.. سأنصرف الآن، فأنا لن أنال من وراء هذه الشغلة غير

٢ - السمسار الجبّار: تقيى نوع من السمسار الجبّار خلال العقود الأخيرة فى البلاد، وهو دابة إنسانية كانت موجودة من قبل، لكن أعدادها زادت كثيراً بسبب التهاون فى تطبيق القوانين، وقلة التمويل، وحاجة الناس إلى تصريف شئون الحياة، والسمسار الجبّار له منقار طويل غريض يحتوى على أسنان مسنونة مشرشرة يستخدمها طوال الوقت فى النشر والطحن، وهو لا يرحم أمه عندما يجوع، ولا يستطيع التعرف عندئذ على أبيه..

المتاعب، سأطلب إجازة مرضيّة، وأعتذر متذرّعة بالمرض، فلو كانت الحكاية فيها خير، لما كان رماها الطير كما يقال، وحسن عبد الفتاح ما كان ليتركها لي إلا إذا كانت وراءها مشكلة أو مصيبة.

ظللت صامتة، أفكّر قليلاً، دون أن أردّ على ما قاله الرجل. فكّرت للحظة أن أسأله عن السبب الحقيقيّ الكامن وراء سيناريو المسابقة هذه، ولماذا يبذل أمواله على هذا النحو الغريب؟، وكم مليوناً لديه إذا كان لا يتردد في إنفاق مليونين على مسابقة لا راحت ولا جاءت؟. لكنني أثرت مواصلة صمتي؛ لأنّه لا بدّ أن يكذب، أن يحجب الحقيقة والسّرّ في لعبته الغريبة هذه عنى.

مرّت لحظات بطيئة، بدوننا فيها وكأنا خصمان جالسان أمام رقعة شطرنج يفكران في النقلة الأخيرة المميّزة. شعرت بتوتّر، فأخرجت منديليّ اللينوه سماويّ اللون من حقيبة يدي، مسحت أنفي دون حاجة ملحّة إلى ذلك، أخيراً ألهمني خالقي النطق:

- بصراحة، أنت في حاجة إلى كمبيوتر؛ لإنجاز كل هذا العمل. وبصراحة لم أكن أتصور أن الموضوع كبير ودقيق إلى هذا الحدّ، وأنّه سيحتاج إلى وقت وتفرّغ، ومستحيل أن أتمكّن من مذاكرة الماجستير خلاله، لنفك فأنّا..

- ماجستير في أيّ موضوع؟.

قلت بضيق لأنّي لا أحتمل الشرح:

- موضوع الرسالة هو: اتجاهات المشكلات الاجتماعية المعاصرة من خلال بريد القراء في الصحف والمجلات خلال السنوات العشر الأخيرة.

- ممتاز. قال، ثم استطرد: لكن الحقيقة أن فكرتي كانت تقديم

طاقم مساعد من موظفى شركتنا لك، يعنى اثنين أو ثلاثة يساعدونك فى عملية الفرز، وبذلك تصبح مشكلة الفرز سهلة، وبعد أن تختارى بنفسك الملائم من الرسائل، تعرضينه علىّ، و.. قاطعته بجدة قائلة:

- أنا صحفية فى مجلة ليل ونهار، ولا أعمل عندك أو فى أى مكان آخر غيرها، ثم إن حسن عبد الفتاح لم يبلغنى بكل هذه التفاصيل.

- والمكافأة؟ قال بجدة.

- أية مكافأة؟ تساءلت بجدة أشد.

- أنا قررت للصحفى الذى سيقوم بهذا العمل مكافأة من عندى؛ رصدت عشرة آلاف جنيه كمكافأة لعملية الفرز والتصنيف. بُهِتُ فحسن عبد الفتاح لم يتطرق فى حديثه معى إلى موضوع القلوس أو المكافأة أبداً، ثم إذا كان هنالك مبلغ ضخّم كهذا، فلماذا لا يقوم حسن عبد الفتاح بالعمل، ويحطّ فى عبّهِ العشرة آلاف هذه، لا.. يبدو أن فى الأمر إن.

قلت لنفسى: إذن فمسلسل الإثارة مستمرّ بنجاح منقطع النظير، والألغاز الأولى، لا تكشف عنها إلا ألغاز أخرى جديدة، وهذا الرجل غامض وغير مفهوم أبداً. يبدو لى وكأنّه مطبّ كبير، وأنا لا أحبّ المطبّات ولست بقادرة عليها.. لا. علىّ التوقف بسرعة وإلا سادخل فى حكاية لا يعلمها إلا الله.

لكنّ المصيبة أننى فضوليّة، وحشريّة، أريد أن أعرف أصل وفصل الموضوع من طق طق إلى السلام عليكم، هممت أن أسأله، لماذا ترصد كلّ هذا المبلغ لعملية الفرز؟ لكنه على ما يبدو، رصد تعبير

الدهشة والتساؤل، المرسوم على وجهي، فاستمر مواصلاً كلامه بهدوء.

- الحقيقة: أنا قلت لحسن عبد الفتاح عن المكافأة بسرعة، ولم أحدّد قيمتها؛ لأنّي خفت أن يكلف أيّ شخص في المجلة بهذه المهمة من باب المصلحة والتفيع، ودون أيّ اعتبار لكفاءته أو مهارته الصحفية، عموماً، ما رأيك؟

تتهّد كمن فرغ صبره، ثم ألقى نظرة سريعة على ساعته، شعرت أنّي ضيّعت وقته الثمين، وهو لا يريد مزيداً من الهدر للحظات. بات على أن أقرّر بسرعة، ووقعت في حيرة فعلاً، فالمبلغ ضخّم، مفر، لم تمسّ أنا ملي مثله من قبل، لكنّي كنت خائفة أيضاً؛ فجيوب الغموض في حكاية هذا الرجل كثيرة، وأنا من حزب ابعاد عن الشرّ وعنّ له؛ لأن لا ظهر لي ولا سند في هذه الدنيا، فأبى مات منذ سنوات، وأنا حيلة أمّي التي ليس لها غيري، إذن فلاسر بجوار الحائط على قدّي، وما أعرفه أحسن مما لا أعرفه، هذا شعاري ولن أتخلى عنه أبداً. تتهّد بدوري وأنا أتأمل حذائي، ثم أعلنت بمرارة وحزم قراري فقلت:

- بصراحة، أنا متأسّفة على رغم إغراء الفكرة وضخامة المكافأة، فوقتي لن يسمح بذلك، وسأقترح على حسن عبد الفتاح زميلاً لي يمكن أن يقوم بهذا العمل على أكمل وجه. علّقت حقيبتي على كتفي، ونهضت لأغادر المكان بسرعة، بعد أن مددت يدي له بالسلام، وقبل أن أخطو في اتجاه الباب، استوقفني دون أن ينهض من مطرجه وقال:

- شكراً لحضورك. لكن بصراحة أنا غير مقتنع بحجّة انشغالك

بالمذاكرة والتفرغ للماجستير، وغير معجب بتعففك عن الفلوس
وتساميك المصطنع؛ فعشرة آلاف جنيه مبلغ لا بأس به. الحقيقة،
عندى إحساس بأن هذا ليس هو السبب الحقيقي لهروبك
وانسحابك.

إذن فهذا الثعلب الكهل، يعرّني، يقرأ شفرة سطوري السرية يمدّ
يده إلى داخلي ليمسك بمصارين أفكارى، وعلى رغم ذلك، فلسوف
أثبت له أنني لا أشعر بهزيمة ما. لن أفقد تماسكى، سأثبت أمامه
حتى أحوز على النصر الظافر، سأعريه كما عرّاني، لن تأخذنى به
رحمة ولا شفقة، على رغم هذا الضعف الذى بدا فى عينيهِ عندما
قال ذلك، وكأنه يرجونى أن أبقى.

التفتُ إليه بحركة أظن أنها مسرحيّة بعض الشيء؛ إذ كنت قد
تقمّصت دور المقاتل تماماً، فهجمت قائلة:

- مادمنّا قد دخلنا فى باب الصراحة، فلسوف أكلّمك بوضوح:
الحقيقة أنّ القصّة كلها من وجهة نظرى، عجيبة ومريبة، من أول
«المليون جنيه»، وحتى حكاية الرصد والفرز. بصراحة: إما أنّك رجل
يبحث عن ستار ليخفى وراءه شيئاً آخر، والبلد مفتوحة على البحرى
لكل من هبّ ودبّ، وإما أن تكون لديك أموال قذرة، ترغب فى غسلها
لتخفى نشاطاً غير مشروع، وأنا لا ناقة لى ولا جمل فى كلا الأمرين،
ورحم الله امرءً عرف قدر نفسه، وأنا أفضل فى هذه المسائل العمل
بالمثل القائل: أبعد عن الشرّ...

فهقه ضاحكاً، وكأننى ألقىت عليه تواء سيلاً من النكات. وقفت
مبهوطة أنقرّج عليه وهو يضحك، بدا لى كواحد من الشبان الواقفين
على نواصى الشوارع لمعاكسة البنات، وبدت لى سنه أقلّ ممّا قدرّت،

وأن الشيب الواضح فى شعره بياض مصطنع يلائم دوراً يلعبه على مسرح.

بقيت فى مكانى أنظر إليه وهو يضحك حتى انتهى أخيراً. سعل ثم قام ليرنّ جرساً ويشير فى اتجاهى بيده لكى أجلس مرة أخرى، ثم قال:

- اقعدى، اقعدى يا شيخه، يظهر أنك خياليّة ولذيذة خالص. ضحك مرة أخرى، كما لو كان يستعيد فى داخله ما قلته منذ قليل؛ فجلست وقد تضايقت من "لذيذة" هذه، هل هو يستخفّ بى، أم يسخر منى؟. تذكّرت جسدى الصغير الدقيق، وقامتى المحدودة، ولون بشرتى الداكن بعض الشيء، وشعرت بضيق، وبدأ شعور بالندم يداخلنى؛ لأننى لم أذهب إلى مصفف الشعر قبل حضورى إلى هذا الرجل، فما كان يجب أن أقابله بشعرى المشوّش هذا. جلست متحرّجة، وقد اهتزّ ما بداخلى قليلاً، وراح يسألنى عن سنّى، وبعد أخذٍ وعطاء عن سبب سؤاله، قلت له إننى بلغت الثلاثين لكن لا علاقة لذلك بموضوعنا، قال إنّ عمره تسع وأربعون سنة وهذا لا علاقة له بموضوعنا أيضاً، لكنّه يريد أن يريحنى ويشعرنى بأننا متساويان فى تبادل المعلومات، ثم طلب منى أن أكفّ عن التوتر وأن أسترخى قليلاً.

جاءت السكرتيرة، أمرها بقهوة له وليمون لى بعد أن سألتنى عما أرغب فيه، ثم طلب منها ألا يزعجه أحد فهو مشغول، ولن يتحدث مع أى شخص مهما كان الأمر.

نظرت إلى السكرتيرة نظرة متسائلة ذات معنى، ثم أغلقت الباب وراءها ومضت.

- هل تشاهدين أفلاماً أمريكية كثيراً؟.. أين تسكنين؟. هل تقرأين روايات بوليسية؟. هل أنت مهتمة بمشكلة المخدرات فى البلد؟. هل تهتمين بالسياسة؟.

انهالت على أسئلته، وهو يبتسم، بدا كصحفى محترف، يريد انتزاع إجابات من شخصية يلتقيها. شعرت برغبته فى تأكيد فكرته التى كونها عنى منذ قليل، واحدة خيالية، تفكر على طريقة الأفلام البوليسية، وتتخيل أشياء لا علاقة لها بالحياة أو الواقع، لأنها ببساطة لا تعرف الكثير عن هذا الواقع.

جاء الساعى بالقهوة والليمون، ثم غادر الغرفة مسرعاً، رفع قهوته إلى فمه وبدأ يرتشف منها وهو يقول:

- أفكارك يا أستاذة ظريفة جداً، لكن اطمئنى تماماً، لا أنا جاسوس، ولا أنوى غسل أموال قذرة، أنا عاوز أعرف فقط... أعرف الناس، وأعرف نفسى، وأعرف الدنيا، هذا كل شىء، لا أكثر ولا أقل. أشعل سيجارة بهدوء وواصل حديثه:

- لكن، فلنفترض أننا أمارس عملاً غير مشروع، أو أننا ورائى حكاية غامضة مريبة، طيب حاولى أن تكونى فضولية بعض الشىء، حاولى أن تغامرى وتعرفى، أن تدخلى تجربة مختلفة وغريبة عن المؤلف قليلاً. أنا ملاحظ أن الناس هنا خوافة تخاف من أشياء كثيرة، وتخاف من أية تجربة جديدة، وتفضل المؤلف والمعتاد. الناس عندنا لا تحب خوض الخطر والصعب، ولا ترغب فى المختلف، ولو حتى من باب المعرفة والاكتشاف. أظن أن هذه مسألة يجب إعادة النظر فيها كثيراً؛ لأنها متعلقة بواحدة من خصائص شخصيتنا المصرية.

استوقفتنى فى كلامه بشدة كلمة: "هنا" إذن فهناك "هناك". لا أعرف هل أنتظر وأسمع كلامه حتى الآخر، أم أقضم ولا أضم معه، فأقوم معتذرة عن الاستمرار فى الحديث؟

بتُ مترددة، حائرة، فثمة شىء فى شخصيته مثير، جذاب، يشدنى إليه، ولكن أليس كل السفاحين واللصوص والقتلة، الذين تعودوا قتل وسلب الناس بهدوء، ويطرق مشروعة تماماً، هم أيضاً مثيرون وجذابون؟. أليس الظرف والجاذبية، من أهم أصول اللعبة فى الأصل؟. لكن الحقيقة أيضاً يجب أن تقال، فهذا الرجل لديه شىء يجعل الإنسان يميل إلى تصديقه، عنده درجة من الكاريزما، ربّما الوسامة، ربّما أسلوبه اليقينى فى الكلام، ثم إن قدرته على الإقناع عالية، لذلك فقد امتثلت لأمره بسرعة وجلست لأرتشف الليمون ولم أغادر، على رغم ظنى بإمكانيات عنادى العالية، وصلابة رأى دائماً.

بدأت أشرب الليمون، ولم أردّ، فضلت أن أستمع حتى النهاية بينما أخذ الرجل يكمل ما بدأه قائلاً:

- عموماً، فكّر، لكن اطمئننى فلا يوجد شىء خطير أو ممنوع، وحكاية العشرة الآلاف ليس معناها أتى عبيط، أو مريب، لا، بصراحة أنا عاوز الشغل بذمة، لا أريد أن تعامل أية رسالة واردة إلى المسابقة بأى نوع من الإهمال فلا يعتدّ بها؛ لأننى متوقع أن تكون الرسائل كثيرة بالفعل. ثم يجب أن تعرفى أن العشرة الآلاف مبلغ تافه بالنسبة إلى.

لم أعرف بماذا أردّ؟، أو من أين أبدأ الكلام؟؛ فماذا يعنى بأنه يريد معرفة نفسه، ومعرفة الناس، ولماذا يردد على مسامعى ما معناه أن لديه فلوساً كثيرة؟. بصراحة، لقد أريكنى كل كلامه هذا، الموضوع

كله أصبح مريكاً بالنسبة إلى، أخشى أن أقول: نعم.. موافقة،
فأتورط فيما لا أرغب في التورط فيه، وأخشى أن أقول: لا، فأندم.
شريت الليمون بسرعة، ولابد أنه لاحظ مدى ارتباكي وتوترى،
بينما كنت أدفن راحتي أسفل فخذى، وهى لازمة لا إرادية ألجأ إليها
كلما توترت. هو من النوع الهادى، البارد، لكن به عذوبة إنسانية
محبية.. يا ربى.. ماذا أفعل؟

قلت. بينما كنت أبتلع ريقى بصعوبة.
- طيب.. اترك لى فرصة حتى بكرة لأفكر خلالها.
ضحك وقال متسائلاً:
- يعنى، ناوية تعملى صلاة استخارة؟
ضحكت بدورى من الفكرة قائلة:
- أبدأ.. لكنى فعلاً مرتبكة، وعاجزة عن اتخاذ قرار الآن،
والحقيقة أنك مريك بعض الشيء وفاجأتى بأشياء كثيرة.
شعرت وأنا أقول ذلك وكأننى واحدة من أولئك اللواتى يتمنعن
وهنّ راغبات، ولعلّ ذلك دفعه إلى أن يقول:
- إذا قلت لك أنّنى أرغب فى أن تقررى الآن، وقبل أن تخرجى
من هنا؟

قال ذلك وهو ينظر فى عينى مباشرة، ولا أعرف من أين هبط
على الوحى فى هذه اللحظات فأنطق لسانى، وأنا أثبت بصرى فى
عينيه أيضاً وأقول:
- خلاص. موافقة.

بعد أسبوع واحد من لقائي مع زاهر كريم، كانت ملامح مسابقة «فكرة نبيلة بمليون جنيه»، قد تحددت تماماً، فالمطلوب من المتسابق أن يقدم فكرة جيدة قابلة للتطبيق في حدود مبلغ مليون جنيه، على أن تكون مفيدة للمجتمع والناس، ويحصل صاحب أفضل فكرة على مبلغ مليون جنيه كجائزة عن إبداعه وفكرته المتميزة.

المسابقة سهلة ممتعة، ولا تتطلب شروطاً مستعصية، فكل المطلوب ألا تكون الفكرة منافية للدين أو للعادات والتقاليد والقيم المتعارف عليها، كما يجب ألا تخرج عن القانون، أو تمس أمن الدولة، وألا تسعى إلى الأخلاق العامة، أو تحض على الرذيلة والفساد، وقد طرحت المسابقة بشروطها هذه على القراء، منذ بداية الشهر التالي للقاءى بزاهر كريم، على أن يظل باب الاشتراك فيها مفتوحاً لمدة ثلاثة أسابيع كاملة، أما عن ترتيبات العمل، فكانت تتلخص في قيامى بتسلّم بريد المسابقة يومياً من المجلة، وفرزه أولاً بأول، بعد ذلك أقوم بفضّ أظرف المسابقة والخطابات، ثم بتبويبها في دفتر خاص، وإعطائها أرقاماً محددة، بعد استبعاد كلّ الخطابات التي لا تستحق التوقّف، والمخالفة للشروط العامة للمسابقة، أو تلك المفتقدة

للجديّة، ثم أقوم فى نهاية الأسبوع، بعرض ما قمت بتدوينه من خطابات باعتبارها الأفضل والأهم، على زاهر كريم. منذ اللحظة الأولى للعمل، استبعدت تماماً فكرة الموظفين المساعدين لى فى العمل، فقد فضلت أن أقوم بكلّ العمل بمفردى دون مشاركة من أحد؛ لأن هذا بالنسبة لى كان أسهل وأسرع ولا يدخلنى فى مشكلات تفصيلية وبسبب كراهيتى الشديدة للموظفين، وأساليبهم الملتوية التى لا أقوى على مواجهتها عادة، وكنت أخشى ضياع أو فقدان بعض الخطابات، أو عدم الاهتمام بقراءة خطاب حتى نهايته، وهذا وارد من أمثال هؤلاء بالطبع.

فى نهاية الأسبوع الأول، وبعد الإعلان عن المسابقة، كنت قد تلقيت حوالى ألف رسالة، قليل منها فيه أفكار معقولة، والكثير يحتوى على أفكار تقليديّة لاجديد فيها مثل: فتح مدرسة جديدة، رصف شوارع، القضاء على اليعوض والذباب... إلخ، وكانت هناك رسائل من قبيل التهريج الصرف مثل: التبرع بالمليون جنيه للمجاهدين الأفغان، أو صرف المبلغ على حملة دعائية منظّمة لعودة العلم الأخضر الملكى القديم بهلاله ونجومه الثلاثة البيضاء، أو إعادة تقليد المحمل وإرسال الكسوة إلى الكعبة المشرفة، على أن تكون الكسوة بمليون جنيه؛ لأنّ الوضع تغيّر فى الحجاز الآن، ويجب أن تتلاءم الهدية مع غنى ووضع البلد فى الوقت الحالى.

دفعت بعض الضرائب، مقابل عملى فى هذه المسابقة، ولم تكن هذه الضرائب إلا قراءة عدد من الخطابات البيئيّة وخطابات قلّة الأدب، وكان معظم هذه الخطابات يحتوى على نكات جنسية فاضحة، أو شتائم مباشرة تتعلق بعالم الجسد السفلى، وكان هناك خطاب

يطالب بتنشيط السياحة من خلال الارتقاء بتكنولوجيا الجنس، أسوة بجنوب شرق آسيا، وإسرائيل التي يرى صاحب الخطاب، أن صناعة الجنس فيها جزء من نهضتها الصناعية الشاملة.

لم أخبر حسن عبد الفتاح بحكاية المكافأة، فقد تركته يظن بأننى غارقة فى عمل سخيّف، وواقفة فى مغرز من الوحل، وبدأت أتلذذ بمنظره وهو يتلذذ بمنظري حين أكون غارقة لشوشتى فى فرز الخطابات، بالأحرى. بدأت ألعب معه لعبة كنت أعرف أننى سأكسبها حتماً، عندما أعلن فى النهاية عن المبلغ الذى حصلت عليه من زاهر كريم.

خلال هذه الفترة، كانت لدى رغبة عارمة فى الوصول إلى هذه اللحظة، لحظة اكتشاف حسن عبد الفتاح أننى حصلت على مقابل مُجز جداً، مقابل قيامى بالعمل فى المسابقة. أعرف كم هو محبّ للمال، كم هو متلمّظٌ على أى قرش يمكن أن يحصل عليه، حتى لو جاء بطرق غير مشروعة، وهو لا يتعامل مع الناس إلا من زاوية أنهم أدوات لتحقيق أغراضه ومصالحه. والحقيقة، أننى لم أكشف ذلك فى شخصية حسن إلا بعد تجربة تفصيلية طويلة ومريرة معه، من خلال عملى تحت رئاسته فى قسم الاجتماعيات، واحتكاكى اليوميّ به، فهو حريص على أن يكون الكلّ فى الكلّ، وهو عبقريّ فى بخس الناس أشياءهم، فالعمل الجيدّ، المتقن يستفزّه، ويدفعه إلى التقليل من قيمته؛ فهو يخشى خشية شديدة على موقعه الوظيفى، ويتصور أن نجاح الآخرين معناه الخسارة له على طول الخط، أما عن علاقته بالمرأة، فهو يحترقها احتقاراً شديداً، فكلّ عمل دوّنّى فى القسم هو من نصيب النساء، والتحرّش الجنسى بأساليب لاتطالها يد القانون،

هو قانونه الدائم عند التعامل معهن؛ فهو لا يكفّ عن النظر إلى الصدر، وتفحص الجسد عند الحديث بينه وبين إحداهن، ولا يخجل من الهرش بين فخذيه على مشهد من أية امرأة أمامه، أما تأويل الكلام جنسياً فهو هوايته المفضلة التي يمارسها مع زملائه من الرجال، وقد أدركت بعد فترة أن تفوّقى في عملي يستثيره جداً لمجرد أني امرأة؛ لذلك فهو لا يكفّ عن توريطي في أعمال صعبة، ولا يترك فرصة للتشهير بي عند أية هفوة أو خطأ في العمل؛ لذلك فإن أكثر زميلاتي نجاحاً معه كانت سنيّة فراج؛ لأنها كانت من فضيلة «عالة شخلع»^(١).

كان حسن عبد الفتاح قد اختصني ببريد القراء كعمل خاص بي داخل قسم الاجتماعيات، وبريد القراء بالنسبة إلىّ كان وما يزال نوعاً من الأعمال الصحفية السخيفة، فالمطلوب الردّ على كمّ هائل من السخافات التي يكتبها تافهون لاقيمة للوقت لديهم، فما الذي يمكن أن يقدمه بريد قراء مجلة من نوع «ليل ونهار» لا تهتم إلا بنجوم السينما والمجتمع، وتفاصيل الحياة الشخصية الفارغة لكل منهم؟ وأيّ عمل هذا الذي أقوم به؛ إذ يتوجب على الردّ على خطابات من «سأنتحر إذا لم أحصل على رقم تليفون هالة صدقي»، أو «كيف أحصل على صورة عمرو دياب وهو يأكل البسبوسة؟». كم من مرة طلبت من حسن عبد الفتاح إعفائي من هذا العمل، لكنه كان

١ . عالة شخلع: نوع من الثدييات الأرضية، تطوّر خلال الحقبة الأخيرة عن جوارى الزمن القديم ومحظياته، وهو يتميز بوفرة اللحم، المائل إلى البياض عادة، والقدرة العالية على الدلع والتقنّع، وهو يستطيع الحصول على ما يرغب بسهولة؛ إذ إن لديه وسائل سرّية لإضعاف خصومه، وهم من الرجال عادة، وأسلحته العلنية هي الضحك والابتسام حتى يتحقق المرام، وحين تقع الفريسة، تقوم الواحدة من هذا النوع بالتهامها دون جوع.

يرفض، ويتذرع بأن هذا العمل، يحتاج إلى قدرة صحفية وموهبة كبيرة؛ لذلك خصنتى به دون الآخرين.

عموماً... صبراً آل ياسر، فلن يمرّ وقت طويل إلا ونقّبك سيكون على شونة يا حسن عبد الفتاح إن شاء الله، ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها، فلسوف أفرّج الجميع على لوعتك وصدمتك؛ عندما تعرف أنتى حصلت على العشرة الآلاف جنيهه، وأنّك خرجت من المولد بلا حمص، ستعرف وقتها أن الله حقّ وأنه لا ينسى عباده المظلومين.

عموماً، توجهت عند نهاية الأسبوع إلى زاهر كريم، وقد ظلّت مسألة ذهابى إليه هذه نقطة خلافية طيلة الاجتماعات التمهيدية، السابقة على الإعلان عن المسابقة، والتي تمّت بيننا، والتي شارك فيها حسن عبد الفتاح فى بعض الأحيان، فى البداية أصبرت على أن تكون عملية الفرز النهائى داخل مبنى المجلة وفى وقت محدد يكون فى نهاية العمل يوم الخميس من كل أسبوع، وقد تذّرت بحجّة أن منزلى بعيد، فى آخر الهرم، و سيصعب على الرجوع متأخرة، إذا ما تمّ لقاء الفرز فى مكتبه، كما قلت إن العمل يجب أن يجرى أساساً داخل المجلة؛ حتى نضمن عدم فقدان أو ضياع أى من الخطابات، لكنّ ما أدهشنى هو إصرار زاهر كريم على أن نعمل فى مكتبه. كان إصراره أشبه بالثورة، فهو حريص على ألاّ يظهر بأية صورة من الصور على خريطة هذه المسابقة، وهو لا يحبّ التردد بأية حال من الأحوال على مبنى المجلة، فيراه الناس، أو يقع تحت طائلة الفضول الصحفىّ، وكان يبدو وهو يقول ذلك، وكأنّ الفكرة بالنسبة إليه غير قابلة للنقاش أساساً، وطمأننى بأنّ سائقه الخاص سوف يوصلنى

إلى أى مكان أشاء بعد الانتهاء من عملنا معاً، حتى لو أن هذا المكان مدينة السويس؛ إذا ما رغبت فى الذهاب إليها.

وهكذا ذهبت إليه فى نهاية الأسبوع الأول من المسابقة، حاملةً معى عشرة خطابات، كانت - فى رأى - هى الخطابات الأفضل والأهم، من بين جميع الخطابات الواردة للمسابقة. كانت بعض الخطابات تحتوى على اقتراحات سياسية، والبعض الآخر يحتوى على أفكار اقتصادية اجتماعية، خطاب واحد فقط، حملته معى لأقرأه له على سبيل الطرافة.

أدخلتني السكرتيرة إياها هذه المرة إلى حجرة مكتبه، حجرة فسيحة أنيقة، تحتوى على مجموعة أثاث مكتبى قديم، خشب محفور على الطراز الهندى؛ حيث غلبة التوريقات النباتية و الأشكال الحيوانية، لوحات فنية على الحوائط، فى مواجهة مكتبه على الحائط خريطة قديمة لمصر داخل إطار خشبى قديم مشغول بالصدف والفضة، وعندما فتح الباب ودخل، كنت أحاول قراءة حروف مواقعها الباهتة الدقيقة، وأخمن الزمن الذى رسمت فيه.

جلس إلى مكتبه مباشرة بعد أن حيأنى، طلب قهوة لكننا من السكرتيرة، أما منى فقد طلب أن أجلس أمامه. بدأت فى إخراج الخطابات وأنا أشعر أننى تلميذة صغيرة ستعرض واجباتها المدرسية على أستاذها المتشدد الحازم.

قدمت له تقريراً سريعاً عن نتائج أعمالى، وأعلمته بعدد الخطابات الواردة خلال الأسبوع الفائت، شرحت له توقعاتى لما سيحصل خلال الفترة المقبلة، وقلت له إن كمىة الخطابات سوف تتضاعف؛ لذلك يجب أن نحسم أولاً بأول ما الخطاب الأفضل

والأهمّ على مستوى كل أسبوع.

قبل أن أبدأ فى استعراض الخطابات، وبينما كان الساعى يصبّ القهوة التى جاء بها، قررت أن أقرأ عليه الخطاب الطريف الذى احتفظت به. كنت قد قررت استبعاده ووضعه فى سلّة المهملات، كما أفعل عادة مع الخطابات التى من هذا النوع، فكاتبه - فى رأى - شخص خَرَفَ على الأقل، لكنّى وجدته طريفاً، لذلك قلت له:

اسمع والله الرسالة الغريبة التى وصلت آخرالنهار، فصاحبها طريف جداً، ويبدو أنه متعاطٍ مخدراتٍ أصيل، اسمع والله. قلت، ثم أردفت: أولاً عنوانها «سنّارة وفرخة لكل مواطن».

ابتسم قليلاً ثم رشف بعضاً من القهوة وأشعل سيجارة بقلق، وغمغم معلناً انتباهه واستعداده للسمع، فرحت أقرأ المحتوى «عزيزى محرر مجلة ليل ونهار..

إن فكرتى لهذه المسابقة بسيطة للغاية، وسهلة جداً، وتتخلص فى أن «المليون جنيه» تستطيع أن تتحول إلى دجاجة تبيض ذهباً دائماً، ويمكن أن تصبح ملايين وملايين من الجنيهات، وفكرتى هى أن تُوزّع سنّارات وفراخٌ بما قيمته مليون من الجنيهات على أكبر عدد ممكن من المواطنين، بمعدّل سنّارة واحدة، ودجاجة واحدة فقط لكل مواطن.

أمّا الدجاجة فلسوف تكون أفضل وسيلة للحصول على غذاء صحّى ومضمون دون إدخال أى نوع من أنواع الغشّ، أو التلوث الغذائى الذى يتسبب فى ضرر لأكله، بالإضافة إلى أن دجاجة واحدة لن تكلف مربّيها شيئاً يستحقّ الذكر، فهو يستطيع أن يضعها فى عشّ صغير، فى شرفة منزله، وكأنّها عصفورة من العصافير، أو

يضعها فى قفص جميل داخل المنزل نفسه إذا لم تكن فى مسكنه شرفات، وهذا وارد جداً بسبب ضيق المساكن وميل الناس إلى إغلاق الشرفات بالبناء أو الزجاج وتجويلها إلى غرف تضاف إلى المساكن ذاتها.

والدجاجة سوف تبيض يومياً، أو كل يومين؛ مما يتيح لأفراد الأسرة أكل بيضها بالتناوب، وإلى جوار الدجاجة، يستطيع المواطن الصالح أن يزرع شجرة طماطم أو فلفلأ رومياً فى أصيص متوسط الحجم، ولهذه الفكرة مزاياها العديدة.

أولاً: ضمان تناول أفراد الأسرة للبيض الطازج دائماً.

ثانياً: أكل بيضة واحدة كل بضعة أيام مسألة صحيّة جداً، وحتى لا ترتفع نسبة الكولسترول فى الدم؛ إذا ما أكل الإنسان بيضاً كثيراً. ثالثاً: ستتغذى الدجاجة على بقايا الطعام فى البيت، أما فضلاتها فليسوف تستخدم كسماد طبيعى ممتاز، دون أدنى تلويث للبيئة.

أما السنارة، فهى المشروع الأكبر والفكرة الأعظم، فسنارة لكل مواطن تعنى باختصار ما يأتى:

١ - إن ذهاب الإنسان، مرة كل عدة أيام، وجلسه لساعات طويلة على شاطئ نهر النيل، أو شواطئ الترع، والمجارى الصغيرة، لهو نوع من المتعة الإنسانية الرائعة.

٢ - يعود صيد السمك الإنسان على خصلة التأمل، وكذلك يخلق لديه القدرة على الصبر وضبط النفس والتركيز الذهنى.

٣ - يضمن حصول الأسرة على أفضل وجبة بروتين حيوانى لمرة أو مرتين أسبوعياً، دون أية تكلفة تذكر، قد ترهق ميزانية الأسرة.

٤ - ينمى صيد السمك الشعور بالجمال، وهذا ما نفتقده بشدة فى حياتنا الآن. فالقبح ينتشر حولنا فى كل مكان، وهو ينخر فى نفوسنا شيئاً فشيئاً؛ لذلك فالجلوس فى أحضان الطبيعة، وتأمل عظمة الخالق لهو من أبدع الأشياء فيها هى المياه تتساب رقراقاً، والطيور تغرد، والأغصان الخضراء تتمايل، وكل ذلك سحر وفتنة ينبئان بعظمة الواحد القهار؛ فتستقر النفس مُستقرّ الطمأنينة والسلام.

٥ - إن صيد السمك، يصرف الناس، وخصوصاً الشباب العاطل منهم - وما أكثره هذه الأيام - عن الجلوس فى المقاهى والتسكع على النواصبي والفرجة على جهاز الشر المسمى بالتلفزيون، بكل ما يقدمه من سموم فكرية، تلوث الأذهان، وترهل الأبدان، وتتضب إنسانية الوجدان، فيتحول الإنسان - فى النهاية - إلى ما يشبه الحيوان، وعلى عكس ذلك فالجلوس جلسة الصيد، يدفع الإنسان إلى أعمال فكره والتعمق، كما ينحو به نحو التأمل والتدبر؛ فيتأمل أحوال الذات، وما يمكن أن تحفل به الروح من ملذات، وقد يتفجر الإبداع فى داخله تفجراً؛ فيقول شعراً، أو يكتب درّات نثر، وربما فنّ رسماً، والعبد لله، كانت هذه الرسالة، قد تفجّرت فى داخله ملكة الشعر، بعد أن أدمن صيد العصارى، فراح ينظم الكلمات، وقد كتب قصيدة مطوّلة مطلعها .

نور الجمال قد تشعشع عندى بفضل شمس وطعم وجلسة قرب نهر
فالشمس حانية تتوارى مودعة والروح تملو، سامية، بعداً عن همّ وقهر

إلى آخر القصيدة التى أسميتها «بوح الروح فى العصر». وأذا أرادت المجلة فأستطيع إرسالها كاملة لتتشر فيها.

عموماً، هذه فكرتى المتواضعة، فأرجو أن تمحصوها جيداً، ولكم منى الشكر، والله ولىّ التوفيق.

ملحوظة: مرسل رفقته رسم توضيحيّ لقفص الفرخة وكيفية صنعه وتجهيزه بأبسط الطرق والأساليب دون الحاجة إلى نجار مستقل يطلب مقابل ذلك مبلغاً قد لا يستطيعه المواطن القليل.

لم تبد على ملامح زاهر كريم، التى كنت أرقبها بين الحين والحين أية تعبيرات تتم عن الدهشة، أو السخرية، بل بدا لى وجهه جاداً صارماً وكأنه يفكر بعمق فى كلّ كلمة سمعها لتوه، عقيبت على ما قرأته وقلت:

. هل تصدّق أنّ هذه الرسالة واحدة من رسائل أخرى عديدة وردت فى البريد، مكتوبة على هذا النحو؟ لا أعرف كيف يجد الناس الجهد والوقت لكتابة أشياء من هذا النوع، وكيف تواتيهم الشجاعة لإرسالها إلى المجلات والصحف؟

ظلّ صامتاً للحظات وهو يفكر: سألنى أخيراً:

. كم رسالة وصلتكم من نوع هذه الرسالة؟

. لا أدري على وجه التحديد، لكن عموماً، كانت هذه أطرف الرسائل تقريباً، وقد عرضتها عليك من قبيل الطرافة. ليس إلاّ. ابتسمت وأنا أقول ذلك؛ إذ قفزت إلى رأسى صورة القفص الموضوع داخل البيت، قفص فى غرفة صالون مذهبةً وبداخله دجاجة، بينما عريس يتقدّم لخطبة فتاة. قفص فيه دجاجة إلى جوار التلفزيون. دجاجة تصبح داخل قفصها بعد أن باضت، بينما يتناقش أطفال على أولوية الفوز بها. لم أتمالك نفسى فاتسّعت ابتسامتى أكثر، بينما كان زاهر كريم سادراً فى جدّيته، التى بدت

لى غريبة، وبلا معنى، فأردفت قائلةً:
- عموماً، أنا لا أتوقف كثيراً أمام نوعيّة هذه الرسائل، وعادة لا
أستكمل قراءتها حتى النهاية.

ردّ بعصبيّة ضائقاً بكلامى وقال:
- أرجوك، تعاملى بجديّة مع كل الرسائل، فهذه الرسالة مهمة
جداً، وأريد إدخالها ضمن رسائل الأسبوع المختارة للمسابقة.

كذا؟، همست لروحي. إذن اتضحت الرؤية والحمد لله، وبدأت
أفهم حكاية هذا الرجل. إنّه مجنون، يميل إلى الغريب والطريف،
يتشبّث برسالة الفراخ والسمك، ولا يهتمّ بالرسائل ذات القضايا
السياسية والاجتماعية، لن أدهش إذا ما اعتبرها أفضل رسالة فى
نهاية المسابقة، وتستحقّ الحصول على الجائزة. تصورت رئيس
تحرير «ليل ونهار»، بكل تعاليه واعتداده المفتعل بنفسه، وحسن عبد
الفتاح يقف إلى جواره، مرتدياً زىّ المناسبات الرسميّة المفضلّ لديه
عادة: البذلة اللامعة كحليّة اللون، وربطة العنق الحمراء، وهما يعلنان
على الملأ نتيجة المسابقة، تحت الأضواء، ووسط الصحفيين، حسن
عبد الفتاح يذيع بصوته الجهورىّ المزعج: الجائزة منحت
للمواطن ٠٠٠٠ صاحب رسالة «فرخة وسنّارة»، ها ها ها، أيّة مهزلة يا
زاهر كريم ستضع المجلة وحسن عبد الفتاح فيها؟ وأى خبل وغرابة
تعيش فيهما؟.

قلت له بوضوح إنّ هذه الرسالة ليست رصينة بما يكفى، وسوف
تثير السخرية، كما أنّه من المستحيل أن يوافق عليها رئيس التحرير
أو حسن عبد الفتاح. راح يذكرّنى بشروط المسابقة، وأنّ القرار
النهائىّ فى اختيار الرسالة الفائزة سيكون له، ثم قال لى وهو يفكّر

مهموماً: اسمعى. اتركها الآن، نتناقش فيها فيما بعد.
قلت: إذن، لدينا عدّة رسائل، أتصوّر أنّها أفضل ما ورد إلينا
خلال هذا الأسبوع ثلاثة خطابات تطالب بإنشاء مدارس ومعهد
دينى فى مناطق مختلفة، وواحدة تقترح إنشاء وحدة علاجية فى
مركز ريفى، كما توجد رسالة خاصة بالصراف الصحىّ فى حيّ
عشوائى فى الإسكندرية، وهناك اقتراح بمستشفى متنقل على
الطرق السريعة، ورسالتان عن التلوث الغذائى والهوائى، وواحدة عن
جسر يربط قرية فى الصعيد بالبر الآخر للنيل، وأخيراً رسالة
تطالب بإنشاء مدرسة لتعليم اللغة الهيروغليفية.
آه. عادى. كلها تتشابه مع الرسائل التى تنشر عادة فى
الصحف اليومية.

- صحيح.

- لذلك رسالة السنارة والفرخة فيها فكرة. أظنّ أنّها الأفضل.
نظرت إليه باستغراب، يبدو أنّه رجل خيالىّ فعلاً، لن أناقشه. لقد
قلت له رأى وهو حرّ فيما يختار، إن شاء الله تفوز بالجائزة. رسالة
تطالب كل مواطن بتربية قرد، أو صيد سحلية، أنا مالى. رحت
أرشف ما تبقى من قهوتى وعندما انتهيت اتفقت معه على الموعد
التالى، ثم ودّعته وغادرت المكان.

مجلة «ليل ونهار» مطبوعة تصدر يوم الخميس من كل أسبوع، وهى تتشابه وعشرات المطبوعات الأخرى المعروضة فى سوق الصحافة، طباعة فاخرة على ورق لامع مصقول، إخراج جذاب مبهر، ومادة رخيصة تافهة تعتمد على أخبار نجوم السينما والمجتمع فى الأساس وتلهث وراء تفاصيل الحياة الشخصية واليومية لهم بكل ما فيها من خفايا وأسرار، وتروّج المجلة لكل ما هو بذىء ورخيص فى حدود ما يسمح به القانون. إنها نوع من المخدرات المغيبة لكل عقل، لذلك فعلى غلافها دائماً صورة حسنة تبتسم فى ميوعة، أو تكشف عن بعض مفاتن جسدها، كإعلان أولى عن طبيعة مادتها بين الغلافين. وعلى رغم هذه الدعارة الإعلانية المقتنعة، فإن المجلة لا توزّع كثيراً - أظن - بسبب خيبة القائمين عليها صحفياً، فرئيس التحرير الذى هو من فصيلة شايل ومُشيل^(١) تبدو علاقته بالصحافة

١. شايل ومُشيل: فصيلة بشرية تطوّرت عن نوع قديم معروف بقدرته العالية على التلاؤم والتكيف بسبب إمكانياته الخاصة الهائلة فى ألا يصطدم أو يرتطم أو يصارع أو يناطح حتى فى أصعب الظروف، وشعاره الدائم هو دع الأخلاق تحت حذائك وتجاهل كل ما يؤدى إلى خصومة بينك وبين الآخرين، فإن قالوا عن الحق: باطل فقل: هو الباطل، وإن قالوا عن القتل: قاتل فقل: بل هو أكثر من قاتل، وشايل ومُشيل يرى الحياة خذ وهات، ومن لا يعطينى لا يعينى، أما من يملأ كرشى فأبوس رجليه وأمشى.

كعلاقة أى موظف فى الحكومة بوظيفته المتواضعة: وسيلة لأكل العيش، ناهيك عن أنه شخص باهت، غير موهوب، لا فى الصحافة ولا فى أى شىء آخر فى الحياة، اللهم إلا الرياء والنفاق والمداهنة والمسكنة لكل من له منفعة أو مصلحة معه؛ لذلك فهو نموذج جيّد لشعار «الرجل المناسب فى المكان المناسب» وربما يفسّر وضع المجلة من كل النواحي، السبب فى أن رئيس التحرير، وحسن عبد الفتاح، تحمساً جداً للمسابقة، ورضخاً لشروط زاهر كريم بكاملها، على رغم أنها تعدّ نوعاً من التدخل الصارخ، وغير المقبول فى عملهما الصحفى. لقد أيقن كلاهما أن هذه المسابقة سوف تساهم كثيراً فى ترويج المجلة ورفع عدد نسخها الموزعة فى السوق، فقيمة الجائزة تبدو خيالية، وغير مسبوقة فى المسابقات الصحفية، ولعلّ ظنّ الرجلين لم يخب بالفعل، فبمجرد الإعلان عن المسابقة، ارتفع توزيع المجلة من حوالى ثلاثة آلاف نسخة، إلى عشرة آلاف نسخة أسبوعياً، وهو رقم لم يتخيله أو يحلم به أبداً حسن عبد الفتاح ورئيسه رئيس التحرير، وكان ذلك معناه أن الأمل فى بقائهما على كرسييهما بات مضموناً، بعد أن سرّت فى المجلة منذ فترة إشاعة تشير إلى احتمال إقالتهما من منصبيهما؛ بسبب التوزيع الضعيف للمجلة.

وعلى رغم اعتراضى منذ اللحظة الأولى، على أسلوب العمل فى المسابقة، وتدخل زاهر كريم الصارخ فى تنظيمها، وعلى أن يكون القرار النهائى فيما يتعلق بالرسالة الفائزة، إلا أن حسن عبد الفتاح أفهمنى أن هذه المسائل ليست من شأنى ولا تخصّتى، ولا سلطة لى لإبداء الرأى فيها. عموماً أنا لم أصارع كثيراً على هذا الموضوع، فهذه المجلة اضطررت إلى العمل فيها؛ بسبب ضيق فرص العمل فى

الصحافة الآن، وعلى رغم طموحي الدائم؛ لذلك فهي ليست أكثر من مورد رزق بالنسبة إليّ، فمنذ تخرجي من الجامعة وتعييني في المجلة، وأنا أكتشفت يوماً بعد يوم، مدى انحطاط العمل الصحافي في مثل هذه المجلات، وهو الانحطاط الذي يبدأ من طبيعة العاملين فيها، وينتهي بسياساتها الصحفية الدعوية في تقييد عقول الناس، عبر الأوهام و الأكاذيب المتعلقة بحياتهم وطبيعة المجتمع الذي يعيشون فيه. ورئيس التحرير نفسه خير دليل على ذلك، فعلاقته بالصحافة واهية، وقد جاء إلى العمل الصحفي من الأبواب الخلفية، فقد كان عمله الأصلي، موظفاً إدارياً في المؤسسة الحكومية التابعة لها المجلة، ومن خلال ذلك اكتشف امتيازات المشتغلين بالصحافة على المستوى المادى، إضافة إلى المكانة الاجتماعية و التسهيلات الممنوحة لهم، وهكذا بدأ يتسلل شيئاً فشيئاً فيكتب بعض الموضوعات الخفيفة، كالخواطر والآراء، التي لا تخلو من تمجيد وإطراء لبعض الشخصيات المتنفذة المرموقة، كما كان يقوم بمقابلات صحفية مع ممثلات من الدرجة الثالثة، يقال إنه كان يلتقيهنّ في كباريهاتٍ و ملاهٍ ليلية، يدمن التردد عليها، وكانت أسئلته لهنّ عادة من نوع: لماذا طلقت فلانا؟ أو: الشائعات ترشّحك للزواج من الممثل فلان الفلانى وقبل صدور قانون الصحافة، كان قد نجح في نقل نفسه من العمل الإدارى إلى العمل الصحفي، فلما حدث انقلاب مايو الشهير، والذي سُمّي وقتها «القضاء على مراكز القوى» نجح الرجل في أن يكون نائباً لرئيس التحرير، و اليد الطولى في المجلة، وسرعان ما جلس على كرسيّ رئيسته، بعد وفاته فجأة في حادث طريق.

عموماً: هذا الرجل ليس حالة فريدة ولا خاصة في عالم

الصحافة، إنه - بلغة الهندسة - تمرين مشهور، أما حسن عبد الفتاح فقد جاء إلى الصحافة من عالم البوليس، فهو مخبر بوليسى، عُيِّن بقرار أمّنى وقت تسلّط مراكز القوى ليتجسس على زملائه الصحفيين فى المجلّة، وليكون عيناً من عيون هذه القوى فيها، ولقد تقمّصه ذلك الدور، أو قل إنه ولد ليحيا فيه ويعيشه، فلقد بات، وعلى نحو يبدو وكأنه يسرى فى دمه، لا يكفّ عن التجسس على زملائه والعاملين معه، وطوال الوقت يسعى إلى تشمّم نواقص كل من يصادفه، ويعلم الله وحده، لحساب من يلعب دوره المزمّن هذا خلال هذه الأيام.

لذلك، فأنا وبضعة آخرين من زملائى فى المجلّة، يعدّون على أصابع اليد، نُعتبر جسماً غريباً داخل نسيج هذا المكان، نحن الأقلّية الصامتة، التى لا حول ولا قوة لها، فى أدغال الكذب والاهتراء المحيطة بنا من كلّ جانب، لقد كنت أحبّ العمل فى الصحافة منذ بداية صباى، وكنت متفوّقة للغاية فى الصحافة المدرسية؛ لذلك تخصصت فى الصحافة عندما التحقت بالجامعة، ولكنّى عندما أوشكت على التخرج، ومن خلال احتكاكى بالعمل الصحافى خلال فترة تدريبي العملية كطالبة، اكتشفت مدى تشوّه عالم هذه المهنة النبيلة الجميلة التى طالما تقت إليها، لكنّى أحمد الله على تعيينى والعمل فيها على الرغم من كل شىء؛ فهناك زملاء لى فى الدراسة لم يعيّنوا، ولن يعيّنوا أبداً، على رغم تفوقهم ومهاراتهم الصحفية؛ ربما كان ذلك بسبب نشاطهم السياسى خلال دراستهم الجامعية.

إن ما يدفعنى إلى الاستمرار فى «ليل ونهار» هو أنتى أعيش وحيدة مع أمّى، ولا مورد رزق لنا سوى معاش أبى الضئيل، وهو ما

حصلت عليه أمي بعد وفاته، إضافة إلى راتبى المحدود المتناقص دوماً بسبب ارتفاع الأسعار؛ ولأنّ الامتيازات الصحفية لا يحصل عليها أمثالي كثيراً، فأنا لا أكلف إلا بالمهام التى تتطلب جهداً كبيراً ولتقابل إلا بأقل ما يمكن من المكافآت.

أصبحنا فى نهاية الأسبوع الثانى للمسابقة الآن؛ لذلك، فأنا سأذهب فى نهاية هذا اليوم إلى زاهر كريم لعرض ماورد من رسائل عليه، مثلما تمّ فى الأسبوع الفائت، لكن المشكلة أن الرسائل التى وردت فى الأيام الأخيرة، كانت كثيرة جداً، حتى أنني اضطررت إلى أخذ جزء منها إلى البيت لقراءته ليلاً، غير أن المشكلة الأكبر كانت المفاضلة بين هذه الرسائل، فهناك عشرون رسالة لابأس بها أبداً، يستحق النقاش والاختيار، ومعنى هذا أنني سأضطر إلى قضاء وقت أطول مع زاهر كريم، ولا أعرف على وجه التحديد، هل أنا متوترة بسبب ذلك، أم لأسباب أخرى؟. فالحقيقة أن مشاعرى تجاه هذا الرجل متضاربة جداً، فقد بات يشغل تفكيرى، ويهيمن على حضوره القوى فى مخيلتى عندما أنفرد بنفسى وأخلو إليها، على نحو لم يحدث لى من قبل. أظن أنني فى حاجة إلى رجل، فى حاجة إلى إنسان ما إلى جوارى، ولألاً لماذا تأتينى صورة زاهر كريم عذبة، رقيقة أحياناً؟. لماذا أراه وقوراً رهيفاً، حنوناً؟. هل السبب هو افتقاده لأب؟. فى أوقات كثيرة أقرانه بحسن عبد الفتاح وأمثاله من زملائى الرجال فى «ليل ونهار»، أو أولئك الذين ألتقيهم خلال عملى الصحفى فى أماكن أخرى، الكفة ترجح دائماً ناحيته، ويبدو لى هذا الرجل «المتجز» كما صنّفته فى البداية، رجلاً من نوع فريد، خاص. حسن عبد الفتاح رجل جاف، بذىء عادة، يضحك بوقاحة، ولا يتحرّج

من الهرش بين فخذيه على مرأى من الجميع، وهو يفتصب صدر كل امرأة يحادثها بنظراته العنيفة، وشهوانيته المفضوحة، يتتبع سيقان المحررات حتى باب مكتبه بعد عرض موضوعاتهن عليه.

أتساءل أحياناً: كيف تطيقه امرأته؟ وأى نوع من النساء هى؟

أما رئيس التحرير، فهو عجوز متصاب، يصبغ شعره بالبنى الفاتح. وهذا يذهلنى تماماً ولا أجد له تفسيراً. ويطيله حتى يخفى أوسع مساحة ممكنة من صلته، كما أن مشاعره تتدغدغ تماماً عند لقائه بأية امرأة شابة ويصبح ليناً رخواً، بالاحول أو قوة كعجيبة جاهزة للخبز.

زاهر كريم - يتبدى لى - كامل الرجولة والوسامة، هل هذا بسبب: نبلة الأخلاق؟. صوته الخفيض؟. بساطته فى التصرف، التى لا أشعر معها بأى نوع من الحرج، ولا تؤدي إلى أى شعور بالارتباك لوجودى معه كامرأة داخل مكان مغلق لفترة من الوقت ليست بقصيرة؟. لم أضبطه يتلصص بنظراته إلى جسدى. ولو لمرة واحدة. فاجأتى ذات لقاء، وبدون سياق مسبق، بعد أن نظر إلى طويلاً، فقال: حاولى أن تتعاملى مع الألوان الفاتحة؛ لأنها تناسب لون بشرتك؛ وعلى فكرة، إذا سمح الوقت مرة، فأنا عاوز أرسلك.

فوجئت وقتها بمسألة الرسم تماماً. إذن هو يرسم، لقد قال ذلك دون أية تلميحات جنسية مبتذلة، فهذا الكلام سمعته مراراً من رسامين قابلتهم خلال عملى الصحفى، أو مصورين فوتوغرافيين، كأن يقول واحد منهم لى: وجهك حلو أنا عاوز أرسلك. أو يقول لى آخر: عاوز أعمل لك صورة كبيرة تكون خاصة ومميّزة جداً.

لقد كنت أتضايق بداية من زاهر كريم، وأشعر أنه لا يعاملنى

كأمرأة لكنني الآن أقدر ذلك، أحترمه، وأظن أنه ما يدفعني إلى التفكير فيه كثيراً، بل ربما كان هو الدافع لارتدائي ذلك القميص السكري اللون، عندما ذهبت إليه هذه المرة، لأعرض عليه خلاصة ما تلقّيته من رسائل المسابقة.

طوال الطريق إليه، رحت أفكر في هذا الرجل من زاوية علاقته بالنساء؛ فهو في عمر النضج، ولا بد أن يكون قد خاض العديد من التجارب مع المرأة، خلال حياته السابقة، وهو فيما يبدو ليس متزوجاً؛ لأنني لم أر خاتماً للزواج بإصبعه، قد تكون لديه امرأة ما، حبيبة أو عشيقة مثلاً، فرجل مثله غني جداً، ولا تنقصه الوسامة، لا بد أن تكون له جولات مع النساء، لكن المشكلة أنه شخصيّة متحفظة جداً، لا يفصح عن نفسه إلا إذا سألته، وطبعاً أنا لن أسأله عن ذلك، مثلاً سألته عن طبيعة نشاطه التجاري، فقال إنه يعمل بالشحن البحريّ في الأساس.

بمجرد أن دخلت عليه، استقبلني بحفاوة، وعلّق على مظهرى فوراً: شكلك ظريف، شعرك ملموم والفتاح منورّك وحلو خالص علر بدنك. بدني؟ ما هذا التعبير الغريب، الذي ربّما كنت أسمعته للمرة الأولى في حياتي؟ أعرف أن الناس تقول: جسمك. في الكتب يكتبون: جسّدك. لكن بدنك؟ لا أعرف هل هذا تعبير سوقّي، أم تعبير أدبي؟ تم ما هذه اللهجة الأبوية التي يحدثني بها؟ لقد بدا لي كأب يتشّى على طفلته ويهنئها لارتدائها ثوباً جديداً؛ حتى تفرح وتدخل البهجة إلى نفسها.

هذا الرجل يوظّف اللغة بطريقة غريبة جداً، وقد ذكرني بطبيب عجوز جداً، طبيبني ذات مرة، وكنت أعاني من الحرارة و السعال،

فقال لى عندما همّ بفحص صدرى: فكّى الحرملة، فكانت هذه أول وآخر مرة أعرف فيها أن مشدّ الصدر يسمّى حرملة.

شكرت «المنجز» على ملاحظته الخاصة ببدنى، وقد لاحظت وأنا أتطلع بدورى إلى بدنه، أنه كان أنيقاً جداً، خلال ذلك المساء، وخمّنت أنه ربما سيذهب إلى حفل ما بعد الانتهاء من عمله معى. كان يرتدى بزّة رصاصية داكنة وقميصاً أسود اللون. اللون الداكن يضىء عليه وقاراً وجلالاً، خصوصاً مع لسات المشيب بقوديه، ويبدو أنه لاحظ توقّف نظراتى عليه قليلاً فقال:

- هه.. هل أنت مستعدة؟، هل نبدأ.. أم تتظرين لتستريحي قليلاً؟.

قلت:

- لا. نبدأ فوراً، لأنّ الخطابات كثيرة هذه المرة، وأنا بتّ لا أستطيع المفاضلة بينها؛ لذلك يجب ألاّ نضيع الوقت حتى لا أتأخر عن البيت.

- ولا يهملك، نشتغل حتى الوقت المناسب لك، ونكمل فى وقت آخر.

قلت بسرعة:

- فعلاً؛ لأنّى متعبة جداً. سهرت على جزء من الخطابات الواردة فى الليل ولم أنم جيداً.

- شكلك لا يبدو عليه الإرهاق، لكن يمكننا التأجيل، ولنأخذ موعداً فى وقت آخر. خلاص. اشربى قهوة، وخلى سواك المكتب يوصلك بعدها. من الممكن أن نلتقى يوم السبت مساءً.
- لا.. لا... سنعمل الآن.

فعلاً.. أنا أريد البقاء هنا، معه. شعور جميل يداخلني عندما أجلس إليه هنا. أنا متعبة فعلاً، لكنني لن أذهب الآن، سأتوسل إليه أن أبقى لو لزم الأمر.

. طيب، لكن لو شعرت بعجزك عن الاستمرار، فستوقف فوراً.
. طبعاً.. طبعاً. قلت.

هممت بقراءة الرسائل، قلت سأتلو عليه الأهم من وجهة نظري، ثم المهم، ثم..
قاطع أفكارى قائلاً:

. قيل أن تبدأي، أريد مناقشتك في موضوع، وهو أننا على ما يبدو وقعنا في خطأ بالغ الخطورة، وهو أننا لم نتفق أبداً على ماهية الأولويات في الرسائل، فمن وجهة نظرك ما الرسائل الأهم المستحقة للجائزة؟

تلجلجت قليلاً، ثم أجبت، وكأني تلميذة صغيرة تؤدي امتحاناً شفهيّاً.

. من وجهة نظري، المهم هو كل خطاب يحتوى على فكرة مفيدة للناس، وقابلة للتعميم، وصالحة للتطبيق..

. صح. مثلاً رسالة سمك وفراخ. رد بحماس.
قصديك: سنارة وفرخة، لا. رأيي أن هذا نوع من التهريج.
قال بسرعة:

. غلطانة. الفكرة مفيدة جداً للناس.
. طيب. اسمع هذا الخطاب.

بدأت أفتح الخطاب لأقرأه، لكنني قبل أن أشرع فيه قلت:
. على فكرة، وقبل أن أنسى، هناك خطابات تتناول مسائل

شخصية مثل: زواج، علاج، يعنى الناس عاوزه تحصل على فلوس الجائزة من خلال أفكار شخصية تماماً. مارأيك؟

- اسمعى. هذا النوع افتحى له باباً جديداً فى التصنيف ونسمة مسائل شخصية، فهذه الرسائل مهمة جداً لمعرفة النتيجة النهائية التى سنصل إليها.. وعلى فكرة من المحتمل أن تكون الفكرة الشخصية جيدة وقابلة للتعميم. وبصراحة أنا أريد معرفة كيف يفكر الناس هنا؟ أريد أن أعرف همومهم، مشاكلهم، آمالهم، أمنياتهم، وكل ما يمكن معرفته عنهم.

كانت الفرصة مواتية الآن لأعرف حكاية «هنا»، والتى سمعته يكررها، كثيراً خلال كلامه. سألته مباشرة:
- دائماً تقول هنا. ألسنت أنت من هنا؟

تتهد، أشعل سيجارة، أمتصّ بعضاً من أنفاسها وقال:
- آه.. هذا موضوع طويل يطول شرحه، ولكن من الممكن أن أحكيه لك باختصار سريع؛ حتى يجعلك قادرة على تلمّس أهمية المسابقة بالنسبة إليّ، فأنا من هنا، ولست من هنا، من الصعب شرح ذلك دون تفصيل، ولكنى سأسألك أيضاً: هل كل واحد هنا يعرف ما يدور هنا، فى هذا البلد. وهذا المجتمع؟

واصل، دون أن ينتظر الرد فقال:
- الحقيقة أنّ أحداً لا يعرف شيئاً، بالأحرى، نحن جميعاً نعرف القليل عن ذواتنا وأحوالنا، وأنا واحد عشت ظروفًا خاصة، تجعلنى لا أعرف الكثير عن مجتمعنا. والحقيقة هى أننى لا أسعى من وراء هذه المسابقة، إلّا للوصول إلى شىء واحد فقط هو معرفة هذا المجتمع الذى أعيش فيه ولم تتح الفرصة لى لمعرفته أبداً. لقد عشت معظم

عمرى فى الخارج ومنذ طفولتى المبكرة، فأبى كان رجلاً ثرياً، وكنت ابنه الوحيد تقريباً، على رغم أنه كانت لى أخت تكبرنى بسنوات، لكنها ماتت بعد أن عشت عمراً قصيراً، وهى متخلفة عقلياً؛ لذلك فقد اهتم أبى بى تماماً، وأرسلنى فى هذا العمر المبكر إلى أفضل المدارس الداخلية فى أوروبا، فعشت معظم حياتى هناك، وعندما كبرت ووعيت، بدأت أرتب حياتى على هذا الأساس، فتزوجت امرأة سويسرية، كانت زميلة لى فى الجامعة، لكنى كلما كنت أنمو وأكبر، كنت أكتشف يوماً بعد يوم مدى ضياعى، فأنا لا أعرف من أكون على وجه التحديد. لم أكن سويسرياً كزوجتى التى تزوجتها وطلقتها بعد سنوات قليلة، ولم أكن إنجليزياً، على رغم تعلمى الطويل فى إنجلترا، كما أتى لا أعرف كيف أكون مصرياً، وفى لحظة شجاعة، كانت بالنسبة إلى نوعاً من الانتحار، قررت العودة إلى مصر، والحياة فيها، وسرعان ما توفى أبى فاضطرت إلى إدارة أعماله.

لقد كنت قبل ذلك أتردد على مصر كثيراً، ولم أفقد عرييتى كلفة أبداً، لكنى كنت أجد فى زيارات قصيرة، وأعيش أناساً هم أقرب إلى الأوربيين منهم إلى المصريين، كنت أتعامل مع الناس والأشياء هنا كسائح يستمتع بقضاء وقت فى بلد له نكهته الخاصة، لكنى بعدما انخرطت فى دنيا الأعمال، اكتشفت أننى أعرف بالكاد شيئاً قليلاً عن هذا البلد، الذى أحاول الانتماء إليه، لذلك بدأت أختلط بالناس فى مجالات ومستويات اجتماعية مختلفة، لكنى فوجئت بأننى كلما توغلت فى معرفة الناس أكثر، زاد جهلى بهم، وبدأت لى هذه المدينة متعددة الأتعة، بالأحرى، هى مدينة تمتلك عدداً هائلاً من الأتعة التى كلما خلعت قناعاً منها عن وجهها فوجئت بقناع سرى جديد

يختبئ تحت القناع المخلوع، لقد صاحبت حشاشين، وأناساً نصابين، وعاهرات فى ملاهى الدرجة العاشرة، وعرفت متسولين، وباعة جائلين، وأناساً من الطبقة الوسطى، كما عشت لشهور فى الريف بين الفلاحين، وصعدت شمالاً حتى أتعرف على حياة الصيادين، لكنى ما تمكنت من معرفة الناس هنا أبداً، وما عرفت كيف يديرون حياتهم وعلاقاتهم، وما هى أحلامهم وآمالهم، وكأنهم كانوا جميعاً أطرافاً فى مؤامرة سرية، تستهدف ألا أعرف الحقيقة أبداً، حقيقتهم التى يمكن أن تقودنى إلى حقيقتى.

بدا لى صريحاً للغاية، ومتألماً جداً، وهو يقضض إلى بهواجسه هذه، ولم أدر ماذا أقول له رداً على ذلك. هل أقول له: هيهات ما تطلبه، فالفرسة التى تزرع فى الطين غير تلك التى توضع فى الرمال، إن جذور هذه لا يمكن أن تكون كجذور تلك أبداً، هل أقول له، ولماذا تعذب روحك هكذا؟ لماذا تريد أن تنتمى، وكل الناس تسعى جاهدة فى هذا الزمان لئلا تنتمى؟ لماذا تريد الانتماء إلى عالم تهيم عليه نماذج من نوع حسن عبد الفتاح ورئيس التحرير، وآخرين لاهمّ لهم إلا الإفساد وتكريس الفساد؟ ألا ترى الناس كيف يأكل قويهم ضعيفهم؟ ألا تعرف أن لدينا الآن أمهات يقتلن أبناءهن، وأبناء يقتلون إخوتهم ورجالاً يستبيحون أعراض النساء فى عرض الطريق وعلى رؤوس الأشهاد؟

قلت فى نفسى: تربيّت فى إنجلترا؟ يا بختك يا سيّدى، ليتنى مثلك فأنا لم أترّب فى إنجلترا ولا حتى فى مالطة. ألا تحمد الله لأنك تربيّت وتعلمت فى أحسن المدارس؟ ألا تشكر الظروف، التى أحسنت اختيار والديك؟ المشكلة يا عزيزى المنجز، أنه لا توجد

لديك مشكلة أصلاً، فنحن هنا لم نترب، لم نتعلم، إلا تلك التربية العشوائية والتعلم العشوائي، مثل كل شيء عشوائي في حياتنا، منذ الميلاد وحتى الممات، فأصبحت بيوتنا عشوائية، ومدننا عشوائية وسياستنا عشوائية، واقتصادنا عشوائياً، حتى زواجنا وطلاقنا هو عشوة في عشوة.

رحت أزفر وأنا أستمع إلى حديثه، وقد واصله قائلاً:
طبعاً، قد تظنين أن هذا الكلام نوع من الترف والرفاهية، لكنني أعاني، ويداخلني شعور دائم بالغربة هنا، مشكلتي أنني بلا تاريخ في هذا المكان، ولا أعرف أبجديات اللغة الإنسانية المتداولة فيه. أحياناً أسلك سلوكاً أو أقول كلمة، تجعلني فوراً خارج السياق أو النص الذي أظنّ وقتها أنني دخلته واندمجت فيه. مرّة كنت مع بنت التقطتها من كباريه، وكان لها ضبّ أعجبنى جداً، فقلت لها بينما كانت تخلع ملابسها: ضبك جميل جداً، كنت أظنّ أنني أطريها، وأنها ستفرح بذلك، لكنها بدلاً من أن تشكرني، طرقت باللبانة، ونظرت إليّ من فوق إلى تحت وشخرت ثم قالت بسخرية: أنت عاوز تتمسخر بي يا خضرة.. هاهها.

لقد عانيت من عشرات التفاصيل على هذا النحو. أشعر أنني لا أفهم الناس، وهم لا يفهمونني، الشيء الوحيد الذي يدفعهم إلى قبولي بينهم هو أنني رجل ثري، الثراء هو جواز مرورى الوحيد هنا. عموماً، أظنّ أن المسابقة، سوف تتيح لى فرصة واسعة للتعرف على الناس، وربما حلّت لى مفاتيح شفرات التعامل معهم، لذلك فأنا معجب برسالة السمك والفراخ، فلم أكن أتخيّل أبداً أن يفكر إنسان بهذه الطريقة، ولم يكن من الممكن أبداً بالنسبة إلى تصوّر هذه

الكيفية التى تُطرح بها هموم البشر العاديين.

قلت متسائلة فيما يشبه الاعتراض على مشكلته.

. لكن فكرة الانتماء لديك فكرة رومانسية على ما يبدو.

فالإنسان - فى الحقيقة - لا ينتمى إلى زمان أو مكان، إلا بقدر

انتمائه لنفسه، فأنت إذا انتميت إلى ذاتك، فلسوف ينتمى إليك

الناس؛ لأنك ستسعى إلى تحقيق هذه الذات من خلالهم، وبالتفاعل

معهم، ومن هنا يأتى الانتماء إلى الزمان والمكان.

ردّ فى عصبية بدت لى أشدّ ممّا يجب:

. وكيف أنتمى إلى نفسى إذا كنت لا أعرفها فعلاً؛ حتى يمكن

قبولى فى هذا المجتمع؟ لقد تشكّلتُ وفقاً لمعايير مجتمع آخر، لكن

هل تعرفين: عندما كنت متزوجاً، كانت زوجتى - عندما نختلف

ونتشاجر - تشتمنى دائماً قائلةً: مصرى، رابش، زبالة. لقد صفعتها

مرة بسبب ذلك، لكنى كنت أتألم دائماً، ليس بسبب السبّ، ولكن

لأنها كانت تضعنى أمام الحقيقة، أمام السؤال عن انتمائى وكيونى.

على رغم كل تلك الحجج، ونبرات صوته المرتعشة بالألم، لم

أستطع التعاطف مع زاهر كريم خلال هذه اللحظات، ومازلت أعتبر

قضيّته، قضيّة إنسان مُترَف، يده فى المياه الباردة؛ فهو لا يعرف

معاناة الناس هنا، معاناة القضايا الحياتية الساخنة، الهموم التى

لا تنتهى وكأنها صنو الروح، وملازمة لكل شهيق وزفير للحياة. الناس

يعاملونه كغريب عنهم؛ لأنه - فى الحقيقة - غريب عنهم. تصوّرتُه

وهو يرتدى بزة أنيقة ثمينة، كالتى يرتديها الآن، ويجلس مع حفنة

حشاشين فى غرزة فى تراب البساتين أو الإمام، أى حوار وأى تفاعل

يمكن أن ينشأ بينه وبينهم؟ ضحكت فى سرّى على حكاية البنت

إياها وتعليقه على ضيبتها، المضحك أنه دهش لرد فعلها، إنه رجل الوهم، رجل عائش في الضباب، وليس الرجل العائش في الحقيقة، كما وصف الفرعون إخناتون نفسه، إنه غريب في صنع مظلة من سحابات أوهامه ليهبط على الأرض، لكنه سيهبط ويهبط دون أن تلامس قدماء أرضاً أبداً؛ ربما لأنه لم يكن واقفاً على أرض من قبل. إنه يريد أن ينتمي في زمان بات الناس لا ينتمون فيه حتى إلى أنفسهم. هل يعرف كيف يعامل المصريون بعضهم بعضاً في البلاد التي اغتربوا فيها؟ هل يعلم أن الانتماء لم يعد إلا مجموعة من الأغنيات الجوفاء، تغنى في مناسبات مفتعلة ومقحمة على حياة الناس تحت دعوى الوطنية؟

لقد جئت - يا صديقي - بعد انفضاض المولد. أنت الآن في الزمن الضائع، والهرم المقلوب، ليس على مستوى المجتمع ككل فقط، ولكن حتى داخل كل فرد من أفرادهم.

لم أكن راغبة في مزيد من الاستماع إلى كلامه هذا، فالرجل نكأ جروحاً كثيرة أحملها وأسير بها في صمت، ككل الآخرين أمثالى «هنا» ومهما قلت له مما أقوله لنفسى الآن فلن يفهمه أبداً؛ لأنه يريد فكّ شفرات نصّ لم يقرأه أبداً، وفكرة الانتماء لديه فكرة عبيطة، فارغة؛ لأنك لو أردت أن تنتمي حقاً يا زاهر كريم، فعليك أن تشخّش جيبك يا أستاذ، وتعمل عملاً تنفع به الأمة والمؤمنين، أنت بلا مشروع غير مشروعك الشخصى، تبعثر مليون جنيه حتى تعرف الناس والمجتمع، يا سلام يا أخى.

قلت محاولة العودة إلى الشغل:

- بهذا المعنى، يجب العودة إلى خطابات كثيرة، كنت أسقطها من

حسابي، وربما تفيدك، فأنا أحاول التركيز على الخطابات التي تحمل مطالب أو اقتراحات محددة.

قال بتوسل مدرس يشرح لتلميذ بليد:

. أرجوك، تعامل مع المسألة بكل دقة واهتمام، ولا تقلل من شأن أي خطاب، حتى لو بدت فكرته ساذجة.

. طيب. قلت، ثم أضفت: أقترح أن نبدأ القراءة؛ لأن الساعة الآن داخلة على السابعة.

وافق. بدأت أقرأ الخطابات بسرعة، بعد أن اتفقنا على أن نحفظ بالتعليق عليها إلى النهاية.

● خطاب أول:

أقترح إقامة تمثال ضخّم للرئيس الشهيد محمد أنور السادات، لأنه بعد مرور أكثر من عشرين سنة على وفاته، لم يجد ما يستحقّه من تكريم وتخليد، على رغم أنه أعظم شخصية في تاريخ مصر الحديث، وأقترح أن يقام التمثال في أحد ميادين القاهرة الكبرى، وليكن ميدان التحرير مثلاً، كما أتصوّر أن يعلن عن مسابقة عالمية، يتقدّم من خلالها أفضل فناني العالم للمشاركة في عمل التمثال، على أن تجرى عملية إزاحة الستار عنه في احتفال عام كبير، وبحضور شخصيات محلية ودولية ذات وزن، ولعل هذا نوع من الاعتراف بالجميل لهذا الرجل الفذ، الذي استطاع صنع المستحيل، فلولا له ما عشنا حتى نرى شيمون بيريز يدخل النرجيلة في مقهى من مقاهى عمّان، ولولا له ما رأينا كل هذه الشخصيات العربية الكبرى تسير في جنازة رابين، وتشجب وتدين كل ما يعوق عملية السلام،

ولولاه لما عشنا هذا الازدهار الاقتصادي العظيم، فإذا كان أجدادنا القدماء قد بنوا الأهرام وخلفوها لنا لتشيط السياحة، فإن الرئيس السادات هو الحفيد العظيم الذى صنع السياحة حقاً فى مصر؛ لأنه أدرك بنافذ بصيرته أن لا سياحة دون سلام، والسلام.

أنور المالطى

صاحب ومدير شركة النجمة الزرقاء للسياحة

• خطاب ثان:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كدت أرقص وأهتز طرباً، وأنا أسمع خبر هذه المسابقة، فيها هو رجل أعمال يظهر أخيراً، ويسعى إلى فعل الخير، سائلاً الناس النصح والمشورة، انطلاقاً من قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» صدق الله العظيم.

وعلى رغم أننى لا أقرأ المجلات الدنسة، التى من نوع «ليل ونهار»، بل أعفّ عن لمسها تأديباً وتعففاً، حتى لتكاد عيني أن تدمع من خشية الله؛ لأنّ هذه النوعية من المجلات، هو ما يزينه الطاغوت فى عيون وأذهان أولئك الذين طبع الله على قلوبهم، فاتّبِعُوا طريق الشرّ والغواية، والحقّ أحقّ أن يتبع.

أقول: على الرغم من أننى لا أقرأ مثل هذه المفاسد المطبوعة، إلا أننى علمت. بأمر هذه المباراة التنافسية بالمصادفة البحتة، فقد كنت أتطلع إلى التلفاز؛ انتظاراً لأذان المغرب، حتى أهمّ فأقضى فريضتى، وخلال فقرة إعلانية عن الحلويات والمبيدات والفسالات والكباريهات والمجلات، شاهدت الإعلان عن «ليل ونهار»، بما يحتويه

من تنويه بهذه المسابقة، فلم أتوقف عند الأمر طويلاً، ولكن ما إن حان وقت الصلاة، وبدأ صوت المؤذن يجلجل بلفظ الجلالة، حتى سمعت هاتفاً يهتف في أذنى قائلاً: فلتهب يا فتى وتتصح أمة المسلمين، فلعن الناس لقولك سامعون، وهكذا ألهمتُ الفكرة من لدن الكريم، فقممت وذهبت إلى الزاوية سريعاً لأصلي، ثم طلبت الاستخارة في صلاتي، فأيدنى عز وجل في ما انتويته؛ إذ رأيت ليلتها في ما يرى النائم، حوريات صبيات كواعب يستحمن في نهر دافق، ويتطهرون برشاش مائه الزلال وهن ينادين علىّ، ويصحن يعذب الأصوات: تعال إلى الكوثر، تعال إلى الكوثر.

وهكذا قررت إرسال رسالتي، وفكرتي، باختصار، هي أن تنفق أموال المسلمين فيما ينفع المسلمين، ويصون أعراض الحرائر، ويعصمهن من المحرمات، ويدفع بهن بعيداً عن طريق الفتنة والغواية، ويجعلهن من المحصنات التقيات الحافظات فروجهن، فيقزن بحسن المصير، وينتهين إلى حسن المال.

اقتراحي محدد واضح، فكل لبيب أريب يدرك أن أصوات السفور مازلت عالية تسرى في هذا المجتمع، منذ أن أطلقها ربيب إبليس المدعو قاسم أمين، قسمه الله في عذابات السعير، وأناله بئس المستقر والمصير، كما أن تحريم ختان الأنث بدأ الهمس يتعالى في شأنه على أفواه زمرة من الكفار، لذلك، وبشكل محدد للغاية، أقترح أن يكرّس مبلغ «المليون جنيه» هذا، (وأنا لا أريد أية مكافأة أو جائزة، فجزائي في الآخرة إن شاء الله)، لإنشاء جمعية خيرية ستكون الأولى من نوعها في مصر ومنطقة الشرق الأوسط، تخصص لختان البنات مجاناً على أيدي أطباء مهرة؛ لأن هناك كثيراً من أبناء المسلمين

يتمتعون: عن ختان بناتهم؛ نظراً لضيق ذات اليد، أو يدفعون بالخدائج
اللاحمات إلى أيدي نساء جاهلات، فيترتب على ذلك الأمر عظيم
الضرر، بالنسبة إلى أولئك الصغيرات الحلوات، فقد تنزف الواحدة
منهن، أو يتلوث جرحها، أو قد تكون المرأة القائمة بالعملية غشيمة
فضلة لا تدرك مقدار البتر؛ لأنها لا تعلم أن الرسول الكريم صلى الله
عليه وسلم قد قال: «خفّوا ولا تحفّوا». فيقع البلاء على الفاعل
والمفعول، فعندما تنزف الفتاة ويحلّ بها قضاء الله، يدفع بالمرأة
المسكينة، التي وقعت في الشرّ عن غير قصد، إلى طغمة المنفّذين
لقانون الكفار، وبراءتهم التي لا ترحم، وتعتبر مجرمة ومن عصابة
الأشرار، وإن كان مقصدها أن تكون من عصابة الأخيار الأطهار.

وأقترح بعد الختان، وعلى سبيل الهدية التذكارية، أن تمنح كل
فتاة صغيرة غطاءً جميلاً للرأس، قد يكون ملوناً مزركشاً، لتتذكر
دوماً، تلك اللحظات الفاصلة التي وضعتها على طريق الهداية،
وعصمتها من فتنة الدنيا، وهيأتها لنعيم الآخرة.
وفق الله أمة محمد إلى ما فيه خير السبيل. آمين.

سيد إسماعيل القصيري

طالب في السنة النهائية بطب أسيوط

• خطاب ثالث

أنا ربّة بيت وأمّ لثلاثة أبناء في مراحل التعليم المختلفة، ومدينة
جداً لمجلة «ليل ونهار». والحقيقة أنني معجبة جداً بفكرة المسابقة؛
لأنّ كل إنسان لما يقول رأيه، نستطيع معرفة آراء كثيرة ونختار
أفضلها للصالح العام. عموماً، فكرتي بسيطة جداً، لكنها مفيدة

للغاية، وتتلخص فى إنشاء أسوار عالية لكل الأحياء القذرة أو العشوائية الموجودة فى القاهرة أو حولها، فنحن الآن بلد سياحى، اقتصادنا كله مبنى على السياحة، وهذا شئ عظيم جداً، ومعناه أننا بدأنا نفكر بطريقة صحيحة فيما يتعلق بمستقبلنا .

لكن من غير المعقول، أو المقبول أن نترك السائح يتفرّج على البيوت القديمة القذرة والمبنية بأسلوب غير حضارى، وغير معقول أن يتجول السائح فى الشوارع والحوارى الضيقة، فيرى الأطفال القذرين وهم يلعبون ويلهون فى مياه مأسورة منفجرة، أو مجار فظيعة، بينما الذباب ينتشر ويحطّ هنا وهناك على الأطعمة المكشوفة والخبز والخضروات. لقد رأيت بنفسى بعض السياح يصوِّرون كل ذلك، وصار قلبى يتقطع من جواه، واضطرت إلى أن أحادثهم وأدعوهم إلى النادى؛ حتى يروا الوجه المشرق والحضارى لمصر، فإذا كان هناك بعض الناس الجهلاء، المتفادين الوعى لا يعرفون أو يدركون أهمية السياحة، فيجب ألا نتركهم يعبثون بمستقبل البلد، ويشوهون صورته أمام السائح، الذى يجب أن يستقبل بحفاوة، وأن تقع عيناه على كل ما هو جميل وبديع عندنا، فيغادرننا وهو يتمنى أن يعود إلينا مرّات ومرات؛ لذلك ففكرة الأسوار العالية هذه التى أقترحها لتسوير الأحياء هى فكرة جيّدة؛ بحيث تحجب كل هذه القذارة، ويمكن تزيين هذه الأسوار برسومات سياحية جميلة، تمثل نهر النيل المقدّس، أو الطفل حوريس المقدّس، كما يمكن الاستفادة منها كمساحات إعلانية ضخمة، وهذا معناه زيادة دخل المحليّات وأجهزة المحافظات.

مدام/ عميد إبراهيم شوكت
صاحبة جاليرى بس بس أنتيك.

• خطاب رابع

فكرتى بسيطة ومبتكرة إلى أقصى حدّ، وهى فتح مطاعم نباتية فقط فى كل مكان من المدينة، وكذلك فى المدن الأخرى غير العاصمة، وهذه المطاعم نحن فى مسيس الحاجة إليها؛ لأنّ أوزان وأحجام الناس عندنا فضيحة، وصحتهم زفت بسبب كثرة أكل الشحوم والدهون، ثم إن الخضار عندنا أسعارها معقولة، على رغم زيادة هذه الأسعار خلال السنوات الأخيرة؛ بسبب انتشار مصانع تعبئة وتجميد الخضروات، لكنّ ذلك لا يمنع من فتح هذه المطاعم، على أن تكون أسعار الوجبات فيها فى متناول الجميع، وخصوصاً المواطن العادى، وأنا مستعدة لعمل ذلك بمجرد حصولى على الجائزة، فمليون جنيه مبلغ لا بأس به كبداية لفتح مطعم واحد، كتجربة أولى للمشروع. وعموماً أنا عندى أكالات نباتية رائعة ومبتكرة إضافة إلى أكالاتنا الشعبية المعروفة كالבصارة والعدس، وأرباح المشروع مضمونة، وكل شىء سيكون ممتازاً إن شاء الله.

لولا فهمى الرشيدى

صاحبة معهد لولا للتجميل والرشاقة.

• خطاب خامس:

نحن أبناء طريقة سيدى العارف بالله حسن البسطويسى. لقد اقترب مولد سيدى البسطويسى، وصندوق الطريق خال من قرش تعريفة، ولا ندرى إلى أين نروح بوجهنا من الناس؛ لأننا لا نستطيع إقامة المولد هذا العام فى موعده وهو اليوم الثانى لطلعة رجب المعظم، فليتكم تعطونا «المليون جنيه» لنعمل بها المولد؛ لأننا على

الحديدية؛ بسبب أن محصول القصب خاب، ولم يدر شيئاً خلال هذا
الموسم بسبب السوسنة، وثوابكم عند الله إن شاء الله، ووالنبي
شرفونا وتعالوا في الليلة الكبيرة.
والشكر واجب على كل حال
عن أبناء الطريقة

مسعد، حسن عبد الحفيظ، عزازى
أبناء حمد - الباب القبلى - مصر.

● خطاب سادس:

عزىتى مجلة ليل ونهار.

اسمى ندى السيد عبد الرحيم، شفت المجلة مع بابا، وعرفت
حكاية المسابقة، قلت أقول لكم فكرة، لكن ماما رفضت وقالت: بلا
كلام فارغ، لكنى بكيت وصرخت، وعملت هيصة، لحد ما صدعت
ماما، وتضايقت وقالت: طيب يا نيلة يا مقصوفة الرقية، اكتبى وأنا
أحط الجواب فى ظرف وألصق طابع بريد عليه، ورحت معها
السوق واشترينا كرنبة وكيلو طماطم مستوية، وأربعة بصل الكيلو
بخمسين قرشا ورحنا مكتب البريد ورمينا الجواب فى الصندوق.
وفكرتى لذيذة جداً وهى أن المجلة تشتري بالفلوس كلها، كلها
مصاصات وقراميش ولعب، وجزم تعمل نور لما الواحد يمشى وهو
لايسها، وكل الحاجات الجميلة الموجودة كل يوم فى إعلانات
التليفزيون، والمجلة توزع كل هذه الأشياء على الأطفال وشكراً.

ندى عبد الرحيم

تلميذة بمدرسة زهور المستقبل النموذجية، الصف الرابع.

انتهيت من قراءة ما كتبته ندى عبد الرحيم، وتوقفت قليلاً، إذ كنت متحرّجة من قراءة الخطاب التالى بمجرد أن وقع نظرى عليه، فاقترحت على زاهر كريم أن أكتفى بما قرأت، وأن يقوم هو بالاطلاع على ما تبقى من الخطابات، فهى لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة خطابات، لكنه اعترض قائلاً إن المسألة لن تستغرق أكثر من عشر دقائق أخرى، أستطيع بعدها أن أغادر وأعود إلى بيتى، حاولت التذرع بأننى تعبت ولن أستطيع المواصلة لكنه أصرّ، فقلت له: بصراحة الخطاب التالى سخيّف، وأنا متحرّجة من قراءته،

وهو خاص ببعض الشئء و.....

سأل مقاطعاً: لماذا؟

- صاحبه يتكلّم فى مسألة العلاقات بين الشباب و.....

- يعنى فى الجنس؟ تسأله وأردف:

وما هى المشكلة؟ هل هو بدنى؟

- .. لا... ولكن..

ابتسم قليلاً ثم قال:

- أتخجلين؟ لماذا؟

لم أردّ، فقد ارتبكت قليلاً، ثم تماسكت وقلت:

- سوف أقرأه. لا توجد مشكلة.

- بدا لى أن ابتهامته، تعبيرا عن دهشته لخجلى، لا تخلو من

شبح سخريّة عابرة، وإن كنت قد دهشت بدورى لدهشته، فماذا كان

يظن؟ ألا يعرف كيف نتعامل مع كل ماهو جنسى «هنا»؟ ألا يعرف

آية تربية نثريّاها حتى يصبح هذا الجنس بعبع حياتنا الدائم

ومشكلتنا الأبدية التى نقيس بها كل خطوة قبل أن نخطوها، ونحسب

به كل كلمة قبل أن نتقوّه بها، وندرس كل حركة قبل أن نتحركها؟
شدت أطراف ثوبى على ساقىّ، وبحركة لا إرادية منى، على
رغم أنهما كانتا مغطاتين تماماً وبدأت أقرأ:

● السيد / مسؤول مسابقة فكرة عظيمة بمليون جنيه.

تحية طيبة وبعد.....

أودّ أن أعرفك بنفسى أولاً: أنا طبيب مصريّ شابّ، سافرت إلى
الخارج كثيراً أثناء فترة دراستى الجامعيّة، وكذلك بعد تخرّجى، وأنا
من ذلك النوع العقلانى المتفتح والمرن والواقعى البعيد عن كل تزمّت
ضيّق الأفق ومحدود.

إن أكبر مشكلة تواجه مجتمعا هنا، هى مشكلة الجنس. فهذه
المشكلة تعوق كلّ محاولة حقيقيّة للنهوض والتقدّم، واللاحق بموكب
العصر الحديث خصوصاً بعد سقوط الأنظمة الشمولية، سواء
عندنا، أو فى أى مكان من العالم.

والمشكلة هى أنّ مجتمعا، يواجه مشكلة الجنس على طريقة
النعامة عندما تدفن رأسها فى الرمال إذا ما شعرت بالخطر، ولعلّ
ما يترتّب على هذه المشكلة من مجموعة مشكلات خطيرة، تحتاج
إلى كتاب كامل لدراستها وبحثها، وتقف المشكلة النفسيّة المترتبة على
الجنس كواحدة من أهم هذه المشكلات؛ لأن النفس تكمن وراء
السلوك الاجتماعى والإنسانى، فتحت شعار القيم الشرقيّة،
والتقاليد، والمحافظة على الأخلاق يتمّ قمع كل المشاكل الجنسيّة
ويجرى استبعادها من دائرة النقاش. إن تجليات مشكلة الجنس
تتضح يوماً بعد يوم فى مجتمعا، ابتداء من تزايد معدلات حوادث

الاغتصاب على نحو واضح، وانتهاء بظاهرة الحجاب والنقاب. فهاجس الجسد، هو المحرك لهاتين الظاهرتين على رغم تناقضهما الكامل وتضادّهما الواضح؛ لأن الجنس يلتهم تفكير الشباب الآن في كل المستويات والشرائح المجتمعية، فيدفعه إما إلى الإباحية الأخلاقية المتصاعدة إلى حدّ الجريمة الجنسية المباشرة، وإما إلى التزمّت الأخلاقي المقنّع بقناع الدين في بعض الأحيان.

إن أسباب المشكلة الجنسيّة، التي باتت واضحة حتى في الأدب القصصيّ والروائيّ، وأشعار الأجيال الجديدة من الشباب تعود أساساً إلى غياب التربية الجنسيّة السليمة. إن الجنس غائب عن برامج التعليم تقريباً والطفل يتعرف على الجنس في الحمام وليس في المدرسة، وهي معرفة لا تتجاوز مشاهدته لأعضائه الجنسيّة؛ فإذا ما حاول لمسها، أو فكّر في التساؤل عن ماهيّتها، نهشته أمّه وحذّرتها؛ فتشعره بالإثم، وتزيد من غموض هواجسه حول هذه الأعضاء. إن التعريف الوحيد الشائع للجنس في مجتمعنا هو أنه نوع من القذارة الممتعة اللذيذة، التي لا بد منها للنسل والإنجاب واستمرار الحياة، وهذا خطأ كبير؛ يؤدّي إلى تشوّحات نفسيّة وعصبية لاحدّها. والغريب أن الجميع في المجتمع يحاولون الظهور بمظهر غير المكترث بالجنس، بينما هم غارقون في المشكلة حتى آذانهم، فأنت إذا ماجبت بسيّارتك شوارع المدينة قرب منتصف الليل، فاسوف تكتشف أن معظم سكانها غائبون داخل غرف النوم، ولو عرفت حجم المشاهدين لأفلام الجنس يومياً، بعد أن ينام الأطفال، فسوف تذهل حقاً، إنّ الليل هو الوجه الآخر لأولئك الوقورين والمحترمين، الذين تراهم في المدينة خلال النهار.

ولعلّ هذا الوضع، يعكس نوعاً من الفصام الحقيقي لدى أفراد المجتمع؛ لذلك أقترح أن تكون هذه المليون (وأنا لا أريدها)، نواة جمعية أهلية هدفها التربية الجنسية السليمة، وزيادة الوعي بالمشكلة بين الشباب، سواء عن طريق تنظيم الندوات والمؤتمرات، أو إلقاء المحاضرات ونشر الكتب، وفي رأيي أيضاً، يمكن الحفاظ على دعم عيني، ومالي من مؤسسات في العالم الغربي؛ أسوة بما تفعله بعض الجمعيات الآن في المجتمع.

د. أيمن الباجوري

مستشار جمعية العالم قريتي الدولية بنيويورك.

• خطاب آخر

سيدي محرر مجلة ليل ونهار

صباح الفلّ.

هل تعرف ما أحدث الاكتشافات العلمية بخصوص القلقاس؟ إنه طعام فريد في تخفيض نسبة الكوليسترول في الدم، وخفض ضغط الدم المرتفع، ومن المعروف أنه نبات مغذٍ جداً ويحتوي على نشويات وبروتينات وسعرات حرارية عالية؛ لذلك أقترح زيادة الرقعة الزراعية المزروعة بالقلقاس، على أن يكون هذا النبات وجبة يومية مقررة على طلبة المدارس، وعساكر الجيش والبوليس، وفي المستشفيات العامة، ولتكن «المليون جنيه» إياها، نواة المشروع القومي للصحة بالقلقاس. ولكي ندرك مدى أهمية هذا المشروع ومدى حاجتنا إليه، أشير إلى أن مدينة القاهرة فيها أعلى نسبة من المصابين بضغط الدم المرتفع في العالم، وأن عدد الذين يقعون فيها

فريسة لأمراض القلب وتصلب الشرايين في تزايد مستمر. وكمعلومات سريعة عن القلقاس أقول: هو درنة بنية اللون، ذات حواف وردية تطبخ كطعام شائع لذيق الطعم خلال فصل الشتاء في الأقاليم المصرية، وقد عرفه المصريون منذ أقدم العصور وصوّروه على جدران مغابدهم كأحد النباتات المقدسة، وهو يدخل ضمن طبقوس الأحتفال بواحد من أهم الأعياد الدينية المقدسة لدى الأقباط، وهو عيد الفطاس، الذي يرى بعض المؤرخين أنه شعيرة دينية قديمة تمتد إلى زمن الفراعنة، وخلال عيد الفطاس، حيث يغطس الفلاحون في مياه نهر النيل المقدس، يأكل الناس القلقاس بعد أن يطبخ مع السلق والكسبرة الخضراء والشبت، ويؤكل كوجبة شهية مغذية تكاد أن تكون مصرية تماماً؛ إذ تندر معرفة القلقاس في بلدان العالم الأخرى.

جرجس عبد الملاك منسى
مدرس تاريخ بالإعدادى.

• خطاب أخير لهذا المساء

عزيزى محرر المسابقة

ليس لدى خطة ولا فكرة ولا مشروع ولا وظيفة ولا مركز ولا واسطة، ولا فلوس، لذلك أريد المليون؛ كى أنقذ نفسى وأهرب بجلدى من هذا البلد المقرف، وناسه الجاهلة المنافقة المتخلفة؛ لأن القبح والقذارة هما المهيمنان على كل شئ الآن، وأنا أكره العسكر لذلك أريد البعد عنهم. سأخطف المليون منكم وأجرى لأعيش فى جزيرة صغيرة معزولة، ليس فيها زحام ولا صراع، سأرسم وأرسم

كلّ أحلامى وآمالى الضائعة فى هذه الحياة، ثم أموت هادئاً.

ر. م

رسام ضائع.

ملاحظة: إذا قررتم إعطائى الجائزة، انشروا إعلاناً ولسوف آتى إليكم.

فركت عيني بأناملى وزفرت، بعد أن انتهيت من ملاحظة الأخ
الضائع، وقلت متهددة بارتياح:

- خلاص.

سألنى:

- يعنى كل الخطابات خلصت.

- آه.. باقى رسالة واحدة عبارة عن سطرين. أرجعت نظارتى مرة

أخرى إلى عيني وقلت:

- واحد لم يكتب أىّ شىء سوى: «أهمّ شىء فى العالم الآن هو

الحصول على المعلومات. افتحوا مركز معلومات متخصصاً يفيد

البلد؛ فهذا ما نفتقده بشدّة الآن».

طويت الرسالة، ووضعتها إلى جانب بقيّة الرسائل فى الملفّ،

وبدأت أتأهّب للرحيل.

لاحظ زاهر كريم تعجّلى فقال:

- عندى شعور أنك خلصانة خالص. روحى، روحى نامى،

والأسبوع التالى نتناقش. لكن اتركى الخطابات كلّها هنا.

وصلت إلى المجلة يوم السبت متأخرة بعض الشيء، فلقد كان لا بدّ لى من إنجاز بعض المسائل الخاصة بى، ومنها تجديد البطاقة الشخصية لأمى؛ لأنّ موظّف هيئة المعاشات رفض صرف معاشها الشهرى؛ لأنّ البطاقة قد تهرأت، وأرقامها لم تعد واضحة، وقد أصرّ على ذلك على رغم معرفته الجيدة بها، ورؤيته لها لمدة خمسة عشر عاماً، مرّة كلّ شهر، بعد وفاة والدى؛ لذلك اصطحبته إلى السجلّ المدنىّ لتجديد البطاقة، بعد أن صورتها بسرعة صوراً فوريّة، وجّهت الطلب الخاص بالتجديد.

موظفة السجلّ المدنىّ رفضت التجديد؛ لأنّى لم أحضر شهادة تثبت أنّ أمى على قيد الحياة، حاولت إقناعها أن تلك السيدة العجوز الطيبة الواقفة أمامها هى أمى شخصياً، لكنّ الموظفة أصرّت على طلبها، وهو إحضار شهادة ممهورة بإمضاء اثنين من موظفى الدولة ومختومة بختم النسر، تؤكّد على أنّ أمى مازالت حية ترزق، ومواطنة تستحقّ الحصول على بطاقة إثبات شخصيّة.

استشطت غيظاً من لوائح الحكومة السخيفة، وهذه المرأة البليدة المترهلة ذات الأظافر الوسخة والأساور الذهبية العديدة فى معصمها. تركتها بعد شدّ وجذب.. ثمّ توجهت إلى السجلّ. أفهمته أنّى صحفية، وأننى سأستخدم نفوذى للتشهير بسير العمل فى هذا المكتب الحكومى. الرجل كان لطيفاً ومتفهماً بعد أن حكيت له عن مرض أمى، وأنها لا تستطيع الانتظار طويلاً فى المكتب؛ بسبب التهاب مفاصلها المزمن.

انتهت المسألة إلى تقديم إقرار ينصّ على أنّ أمى مازالت على قيد الحياة: «أنا عزيزة سالم أفندى، أقرّ بأننى مازلت على قيد

الحياة، وهذا إقرار منى بذلك».

حصلت على البطاقة بعد هذا الحلّ السعيد، وبعد أن طلب الرجل منى، نشر صورة ابنته البالغة من العمر خمس سنوات، ضمن باب نجوم الغد فى المجلة.

بمجرد أن دخلت إلى مكتبى، فوجئت، بحسن عبد الفتاح يستقبلنى بحفاوة، ويهشّ فى وجهى خلافاً لعادته، توجّست فى الأمر شراً. بدأ يسألنى عن أحوال المسابقة وزاهر كريماً. قال إنها أحدثت ردّ فعل هائلاً بين المجلات الأخرى؛ ففى أثناء تناوله المشاء فى النقابة منذ يومين، حاول بعض أعضاء مجلس النقابة أن يتقصّوا ويعرفوا تفاصيل الموضوع، لكنّه - أى حسن - لم يبيع بالسرّ، وقال أيضاً، إن بعضهم همس فى أذنه بأن بعض الجهات فى البلد مرتاحة جداً لتوقيت المسابقة؛ لأنها غطّت على أخبار المذبحة الإسرائيلية الجديدة فى الجليل الأعلى، وصنفت الأنظار عنها بعد تزايد النّقمة الشعبيّة وتدنّر الرأى العام من العريدة الأسرائيلية.

بدأ لى وهو يتحدّث، كما لو كنّا أصدقاء منذ زمن طويل، فقد راح يفضى لى بأفكاره دون أى تحفظ، مما أدهشنى، لكنى، ببرعان منّا اتضح لى الرؤية، فلقد توصل، كما قال، إلى ضرورة استمرار مثل هذا النوع من المسابقات بين الحين والحين، وإنه سوف يجرى اتصالاته مع عدد من رجال الأعمال؛ لحثهم على تكرار تجربة المسابقة، نظير نشر إعلانات دائمة لهم فى المجلة، ثم قال:

- إننا سنستفيد جميعاً فى القسم من هذه المسابقات، والفائدة سوف تأتىنا بصور وطرق مختلفة، فمثلاً نستطيع الحصول على تسهيلات سياحيّة من شركات السياحة، أو بعض السلع الصناعيّة من

المصانع، ثم أعلن بنشوة عارمة: بصراحة عندي شعور بأننا بدأنا نضع
أرجلنا على الطريق الصحيح في دنيا الصحافة. فجأة وبدون مقدمات،
سألني عن قيمة المكافأة المقررة لي من زاهر كريم، ثم أردف:

حاولي الأخذ والعطاء معه؛ حتى تحصلّي أكبر مبلغ منه؛ لأنه
مليونير، وأية فلوس مثل هذه بالنسبة إليه تعتبر حفنة ملاليم، ثم
إنك لن تنسى نصيبنا من المكافأة، فالمفروض أن يصيبنا من الحب
جانب، وعموماً أحب أن أقول لك، إنّي رشّحتك للعمل في المهابقة
وقصدي مصلحتك، ونيّتي كانت خالصة تجاهك؛ لأجل أن تقدري
مدى معزّتك عندي ورضاي عنك.

أيّ أفّاق هذا؟ بدأت أغلى غيظاً. هل أشتّمه.. أم أبيضق في
وجهه وأمضي إلى غير رجعة من أمامه؟ تماسكت وحاولت التحكّم
في أعصابي، وقلت متخابثة: زاهر كريم لم يفاتحني في موضوع أيّة
مكافأة ومستحيل أن أفاتحه أنا في مسألة من هذا النوع.

لم يرتج الثعلب لكلامي، فأدركت الخطأ الذي وقعت فيه؛ لأنّي
تنبّهت إلى احتمال أن يكون قد بادر إلى الكلام مع زاهر كريم في
ذلك، باعتباره رئيسي، وأنه سيقول له:

- سوسن أبو الفضل إنسانة خجولة، أعطني فلوس المكافأة
لأعطيها لها. لذلك تداركت الأمر بسرعة وقلت:
- عموماً لا تقلق.. سأجد طريقة لبقّة للكلام معه في موضوع
المكافأة.

- عظيم. ممتاز.

قال، ثم أخرج من جيب سترته حوالى خمس أو ست رسائل
ناولني إياها وهو يقول:

- حاولى الاهتمام بهذه الرسائل؛ لأنّ أمرها يهمّنى، وربما تفوز واحدة منها وتكون لك فيها حلالة.

آه. هذا الرجل سيقتلنى، إن رؤيته والكلام معه يسمّان بدنّى، ما هذه الوقاحة العلنيّة النادرة؟ كيف آخذ منه الخطابات وأدرجها ضمن خطابات المسابقة والمفترض ضمن شرطها عدم قبول أيّة خطابات ترد عن طريق آخر غير البريد، وعلى الصندوق المحدّد والمخصّص لها؟

أجزم أنّه كتب هذه الخطابات بنفسه، ويصيّغ مختلفة، وكتب عليها أسماء إخواته وأقربائه. ماذا أفعل؟ هل ألقى بها فى وجهه؟ أترك المجلّة والمسابقة وكل هذا القرف لأغور فى أيّة داهية وأستريح من خلقته؟

أوشكت على البكاء لفرد ضيقى، كنت أشعر وكأنّنى أحيا داخل مستنقع كبير لا أستطيع الهروب منه، مستنقع ملئ بحشرات آدمية من أمثال رئيس التحرير، وحسن عبد الفتاح، وموظّفة السجلّ المدنى. أنا لم أعد قادرة على احتمال كل هؤلاء. إنهم يهيمنون على حياتنا ويتحكّمون فى مقاديرنا، ويقتلون أرواحنا قتلاً يومياً بطيئاً. تذكرت أُمى المسكينة التى لا حول ولا قوة لها فى هذه الدنيا، خاطبتها مثلما فى سرّى دائماً: ما الذى استفدته أيتها الطيّبة من مجيئى إلى هذا العالم؟ لماذا هذا العبث؟ ما معنى أن أحيا حياة لا طعم فيها إلا طعم المرارة؟

أخذت الخطابات دون تعليق. كانت نيّتى أن ألقى بها فى أقرب سلّة مهمالات أجدها فى طريقى، غادرت الغرفة. نزلت السلم كاللسوعة، ثم توجّهت إلى صندوق البريد فى مدخل مبنى المجلّة،

فتحتَه بالمفتاح الخاصَّ به، والذي لا توجد نسخة منه إلا التي في حوزتي أنا فقط. بسبب المسابقة، أفرغت محتوياته داخل حقيبة بلاستيكية كبيرة، ثم غادرت المجلَّة، أوقفت أوَّل سيارة أجرة صادفتني وتوجَّهت إلى البيت.

بمجرّد وصولي، طلبت من أمِّي أن تُعدَّ لي بسرعة كوباً من الشاي. عكفت على قراءة وقرز الخطابات فوراً؛ فعددها كبير، ولا وقت لديّ يكفي لإنجازها عل مهل. قرأت خطابات حسن عبد الفتاح، كلها كذب ورياء، شعرت بعد قراءتها أن ضغط دمي ارتفع. فكَّرت في رسالة القلقاس، سأطلب من أمِّي أن تطبخ لي قلقاساً بشكل دائم؛ حتى أكله فلا ينفجر مخي ذات يوم بسبب انحطاط حسن عبد الفتاح وأمثله.

ظلت منكبّة على الرسائل، حتى شعرت بالإرهاق والتعب، قرَّرت النوم قليلاً لكي أستريح، ثم أستأنف عملي بعد ذلك. ذكَّرتني أمِّي بضرورة أن أذهب معها لزيارة عمّتي؛ لأنها عادت من الحجّ. رفضت. قالت إن عمّتي ستتضايق وتتخذها ذريعة للخصام معنا، قلت: طرّ. أنا عاززة أن أنام، ولازم أن أنهى الشغل وأستريح.

أغلقت زجاج غرفتي بالشيش والزجاج؛ حتى لا تتسلل أصوات الشارع إلى أذني، وهى خليط من أغنيات رديئة ذائعة الصيت تبث عادة من بضعة أجهزة تسجيل في آن واحد، ونقاشات بصوت مرتفع، وصراخ أطفال بين الحين والحين، إضافة إلى نداءات باعة سريعة من كل لون وشكل.

رفعت الوسادة وتمدّدت على السرير، ضغطتها بيدي على رأسي ككاتم للصوت، وتحرّزا من تسرّب أيّة أصوات عالية قد تنفذ من

الشيش والزجاج، لم تمرّ بضع دقائق، إلا وكانت أمّى فوق رأسى
حاملة الهاتف وهى تقول لى:
نمت يا سوسن؟.. واحد عاوز يكلمك.

كنت قد بدأت الولوج إلى البرزخ الفاصل بين الصحو والنوم.
اغتظت، وتضايقت جداً، فقلت لها وأنا أرفع الوسادة من فوق رأسى:
. ألم أقل لك اتركىنى أنام؟ لا أريد الكلام مع أحدا. اغتظت
منها أكثر وقد فكّرت أنها تلجأ إلى هذه الحجة حتى لا أنام؛ لأنها
تملّ الجلوس وحيدة بمفردها طيلة الوقت، وترغب فى الثرثرة معى
قليلاً.

. طيب. هاتى. قلت، ثم خطفت السماعة بعصبية من يدها
وهتفت بضيق:
. آلو.

كان زاهر كريم على الطرف الآخر. صدمت، دقّ قلبى بعنف،
كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة لى. استيقظت كلّ حواسى فجأة، وطار
النوم بعيداً إلى السماوات، جاءنى صوته هادئاً:
. آسف لأننى أزعجتك، لكننى فى حاجة ملّحة إلى الكلام معك؛
لأنى فكّرت فى رسالة القلقاس، ووجدت أنه من الضرورى قبل
الاستمرار فى الشغل، أن نعرض كل المعلومات الطبية أو العلمية
الواردة فى الرسائل على مختصّين، قبل البثّ فيها أو حتى
مناقشتها، وحتى يكون قرارنا مبنياً على أسس سليمة، وهذه مسألة
يجب أن نناقشها بسرعة.

هل هذا الرجل سليم العقل حقاً؟. ألا يستطيع الانتظار حتى
التقىة فى نهاية الأسبوع يوم الخميس ليخبرنى بذلك؟. ثم من أين

جاء برقم هاتفى المنزلى٥. إنه غير مدوّن فى الدليل، هل سأل عن الرقم فى المجلة٥. آه يا ريبى. هذا يوم فظيخ جداً، ولم لا، إنه السبت، كم أكره يوم السبت وأتطير منه لا، قلت وأنا أهرش رأسى، وقد شعرت أنه سخّن فجأة:

- طيب. سنتكلم فى ذلك بالتفصيل خلال المقابلة يوم الخميس، وعلى فكرة هناك موضوع آخر يجب أن أكلّمك فيه أيضاً.

سألتنى:

- ما هو٥.

لم أكن أرغب فى الكلام عن حكاية حسن عبد الفتاح بواسطة الهاتف، فهى ستحتاج إلى بعض الوقت، وربما طلب منى قراءة رسائله. قلت:

- سأقول لك فيما بعد. يوم الخميس.

قال بسرعة:

- لا.. تعالى الآن.

- الآن؟، ولماذا؟ تساءلت، بينما ألحّ فى طلبه قائلاً:

- تعالى.. نتكلم فى كل هذه المسائل الآن. لقاء واحد فى الأسبوع

لا يكفى. ارتعش صوته بنبرة رجاء وهو يطلب منى ذلك. ذبت.

كنت أكتشف خلال هذه البريهات شيئاً ما فى داخلى، ترسّيل صوتى بالانفعال، حتى أننى همست بصعوبة، وبعد وقفة صمت طويلة، كنت أحاول خلالها سحب أنفاس من بئرها العميقة وقد هوت فى داخلها:

- طيب. ثم أعدت السّماعه إلى مكانها بهدوء.

أريد أن أطيّر، أن أركب الريح، أن أغمض عينيّ وأفتحهما فأجد

أمامى لأكون معه بعيداً عن حسن عبد الفتاح والسجل المدني، وضجيج الشارع، والحَر، والتراب، ووساخة الطريق. أنا بالفعل أحتاج إلى إنسان، أحتاج إلى هذا الرجل على وجه التحديد، إنى مغرمة به تماماً، على رغم كلّ جنونه، وشخصيته الغريبة ومزاحه غير المفهوم بالنسبة إلى. لقد جّريت علاقات عاطفية بدرجة أو بأخرى، لكنها انتهت كلّها بالفشل، كانت آخرها تجرّيتى مع سمير عبد الهادى، زميلى فى قسم التحقيقات فى المجلّة، والتي كادت أن تصل إلى حُدّ الخطوبة والزواج، لكنى سرعان ما تراجعَت عندما اكتشفت أن سميراً الواعد كما كنت أسمىّه يريدنى امرأة مفصومة ومشطورة، امرأة ذات وجهين، وجه له ووجه للناس. و«وجه له» معناها: أن أكون كالجارية المشتهاة، والأمة المطيعة. كان يقول لى دائماً: أريدك أن تكونى كالإسفنجة القادرة على امتصاصى دائماً. أمّا «وجه للناس»، فمعناه أن أكون صارمة، كشرة، خشنة، خصوصاً مع الرجال، لا أبتسم ولا أحادث أحداً منهم، وطبعاً خيّبت آمال سمير الواعد، الذى كان قد جذبنى إليه بمظهره المثقف، وحديثه الرصين، ذى المنطق المتناسك دائماً، كما خيّب آمالى بعد أن أطلعنى على خططه المستقبلية، فهو يريد أن ينجب ثلاثة أطفال على الأقل بمجرّد زواجنا؛ لأن أخاه الكبير لا ينجب وهو يريد أطفالاً يملأون على أمه بيتها الواسع، الذى كان من المفترض أن نعيش فيه معها، وكانت خطته الاستراتيجية لدار الحضانة التى يزعم تأسيسها هى أن يكثف عمله الصحفى بالنشر فى صحف ومجلات نفطية، تدرّ له أكبر دخل ممكن، يسمح لنا بالعيش فى مستوى اجتماعى لائق، بينما أتقرّغ أنا لتربية الأطفال بعد الحصول على إجازة بدون مرتّب.

ملعون أبو شكلك يا سمير. قلت لنفسى ذات مساء، بينما كنا
نجلس فى كازينو على النيل، يحتسى هو البيرة، أشرب أنا عصير
الليمون، كان وقتها يتغزل فى شعرى الأسود الطويل، ويطلب منى أن
أعطيّه ولو حتى بإشارب بسيط؛ لأنه سرّ فتنتى؛ ولأنه بات يغار على
كثيراً.

وهكذا تركت سميراً الواعد، بعد قصّة الإشارب البسيط هذه؛
إذ أننى اكتشفت أن قصّته معى لن تكون بسيطة أبداً، وما كان
يجذبنى إليه كشابّ مختلف عن الآخرين، ما هو إلا خيال صنعته من
أوهامى.

. لبست ملابسى على وجه السرعة، بينما أُمى تتعجّب من تقلّبات
أحوالى، وهذا النشاط المفاجئ الهابط على جسدى. راحت
تمصمص شفّتها عجباً من تلك التى انقلبت مائة وثمانين درجة من
النوم إلى الصحو وكان أفراساً باتت تمرح فى جسدها.
حاولت توضيب شعرى المبعثر قدر استطاعتى، أدخلت جسدى
فى ثوب أزرق اللون فاتحاً، أحبه ثم خطفت حقيبته يدي، وخطابات
حسن عبد الفتاح، والخطابات التى انتهت من قراءتها قبل نومي،
وهرولت على الدرج إلى الطريق.

طلبت من سائق سيّارة الأجرة الطيران إذا استطاع إلى جاردن
سيتى. وصلت بعد حوالى ساعة، فالطريق من بيتى إلى مكتبه كان
مزدهماً جداً، وبمجرّد أن وصلت أدخلتلى سكرتيرته إلى الصالة، ثم
قالت لى بهدوء:

. استريحى قليلاً، فالأستاذ زاهر كريم اضطرّ إلى الخروج
بسرعة. عاوزه قهوة؟

آه.. هذه إذن آخر مقالب يوم السبت؛ لتزداد نظرية يوم السبت رسوخاً لدى يوماً بعد يوم. أبى مات يوم السبت، ورسبت للمرة الأولى والأخيرة فى حياتى؛ لأننى ذهبت متأخرة ساعة عن موعد امتحان اللغة العربية يوم السبت، حتى عملية المصران الأعور أجريت لى فى صباح ذات سبت. بدأت أراجع تفاصيل هذا اليوم: السجلّ المدنى وموظفته، حسن عبد الفتاح، هاتف زاهر، ثم هذا المقلب الأخير، لا لن أستمّر فى عمل أى شىء. بعد ذلك خلال هذا اليوم، سأذهب عائدة فوراً إلى البيت؛ لأرقد فى السرير وأستريح حتى صباح اليوم التالى فأنا مجهدة بجِدّ وقرفانة جداً، أمّا حسابى معك يا زاهر كريم فلسوف يكون عندما تلتقى المرة القادمة.

خرجت من الحجرة بسرعة، وقلت للسكرتيرة، التى كانت مشغولة بالرد على مكالمات هاتفية، إننى ذاهبة ولن أنتظر، كان من الواضح أنى غاضبة، ووجهى فاضح وكاشف لمشاعرى وأحاسيسى. استوقفتى السكرتيرة وهى تتوسّل إلى أن أبقى: «الأستاذ زاهر قال: إياك أن تتركها تذهب. خليها تنتظر».. أرجوك!.

لم أدر كم من الوقت انتظرت به بعد أن شربت قهوة كنت فى حاجة إليها فعلاً؛ بسبب الصداع الفظيع الذى احتلّ رأسى تماماً، فقد غفوت على مقعدى رغماً عنى، ولم أفق إلاّ على صوته وهو ينادينى: . هل سمعت يوماً سيمفونية الطائر الأزرق لدييوسى؟. قال، وابتسم: كان يقف أمامى مشعث الشعر، يبدو وجهه أكثر نحولاً، ربّما تصوّرت ذلك بسبب الإرهاق العام المتبدّى على ملامحه. كنت قد فكّرت خلال غيابيه فى مغزى سلوكه هذا معى، وتساءلت عن مغزى الرسالة التى يرغب فى إيصالها إلى. يبدو أننى راهنت من جديد

على جواد خاسر، صنعت وهماً جديداً فى خيالى، يضاف إلى تلّ
الأوهام القديمة، المترسّب داخل أعماقى.. لقد تعاملت معه بشرف،
وكنت واضحة تماماً؛ فأنا لا أحبّذ اللجوء إلى الأساليب النسائية
المعتادة: الكرّ والفرّ والإقبال والإدبار. الآننى جئت دون إبطاء
واحترمت اتفاقنا، يتعامل معى على هذا النحو؟.

واجهته ببرود، وكان شيئاً لم يحدث. لقد فوجئ بتغيّرات
ترمومتر حرارتى، فمؤشره كان مرتفعاً إلى أقصاه على الهاتف، لكنّه
هبط إلى الصفر الآن.

جلس أمامى، ثم راح يعتذر وهو يشرح لى أسباب غيابه، فقد
ذهب مع ساعى المكتب إلى المستشفى، بعد أن تلقى الأخير هاتفاً من
زوجته لتبئّه أنّ ولدهما قد صدمته سيارّة جيش مسرعة بينما كان
يعبر الطريق.

- تصوّرى؟. مستشفى حكومى كبير ومشهور دون أدنى
استعدادات. اضطررنا إلى شراء كلّ شيء من خارج المستشفى،
والولد دمه نازف فى غرفة العمليات حتّى القطن الطبى والشاش،
والمطهر وخيوط العمليّة والحقن، اشترينا كلّ ذلك من خارج
المستشفى، والمصيبة أنّه لا يوجد دم فى المستشفى، لكن ربّنا ستر،
وظهر أن فصيلة دمى مناسبة له، فسحبوا منى؛ لأنّ أباه مصاب
بالبول السكرى، كما اشترينا دماً من واحد متخصص فى بيع دمه
ويرتزق من ذلك، لكن الحمد لله، الولد حالته أفضل الآن، وهو تحت
الرعاية والملاحظة. ثم قال فجأة:

- قومى نروح مكتبى.

بمجرد أن دخلنا غرفة مكتبه، أغلق زاهر باب الغرفة بسرعة،

وهو يعتذر عن تركي أنتظر كل هذا الوقت، بمجرد أن جلس إلى مكتبه قال:

بصراحة كان يجب أن أراك بسرعة، وبأى شكل من الأشكال اليوم؛ فموضوع القلقاس وصحة المعلومات الطيبة، لم يكونا كل شيء؛ لأن الأهم هو أن حسن عبد الفتاح، زارنى بعد الظهر فجأة هنا، ويدون سابق إنذار.

قلت لروحي: إذن حسن عبد الفتاح جاء ليحدثه فى موضوع المكافأة، ياله من ثعلب عجوز لا يملّ من البحث عن فريسته، بأية طريقة من الطرق، هو لم يصدّق أننى لا أعرف بموضوع المكافأة، فجاء يتقصّى بنفسه، ويتفق مع زاهر على حصته فيها. استطرد زاهر قائلاً وهو يشعل سيجارة بعصبية:

تصوّرى! جاء الرجل ليقول لى، إنه أعطاك خطابات، وهو يرغب فى إدخالها المسابقة؛ لأنها جاءت من جهات عليا خاصة بالدولة، وهناك خطاب منها على وجه التحديد، من الأفضل أن يفوز وينال الجائزة.

هتفت بحدة مقاطعة إيّاه، وقد فار دمي لأننى شعرت بالإهانة، فحسن عبد الفتاح فى النهاية زميل مهنة، وعندما يسئ إليها يسئ إلى. قلت:

حسن عبد الفتاح كذاب كبير، ونموذج للصحفى الوقح، كل مهنة فيها أناس أمثاله لا يتورعون عن عمل أى شيء. مستحيل أن تتدخل أية جهة مهما كان وضعها فى المسابقة. أنا واثقة أنّ حسناً يعمل لحسابه وكلّ الخطابات التى جاءنى بها، لا يعقل أن تكون صادرة عن جهات عليا أو جهات سفلى. فى تقديرى أنّ حسناً هو الذى ألّف

هذه الخطابات بنفسه أو ربّما بالاتفاق مع رئيس التحرير.
قاطعنى بدوره قائلاً:

- لكن هناك خطاباً بعينه، أكّد لى عليه، وهو خطاب يقترح منح
الجائزة لبناء مدرسة فى الدولة الفلسطينية الجديدة على سبيل
الدعم والمساندة، ويَكُونُ ذلك نواة لجمع تبرعات لها؛ لأنها فى حاجة
إلى أموال كثيرة لتدعم وجودها.
تساءلت مستيكرة:

- الدولة الفلسطينية؟ هل قال لك الدولة الفلسطينية؟ طبعاً هو
يتمسح فى أى موضوع له ثقل ووزن، ويبدو أن له ثقلاً مهماً وعاماً.
إنّه يجيد هذه اللعبة جيداً. الدولة الفلسطينية عندها فلوس تكفيها
وتفويض. والفلسطينيون أشطر الشطّار فى لمّ الفلوس من كل أنحاء
العالم باسم النضال وتأسيس الدولة الجديدة. عموماً حسن عبد
الفتاح لا بدّ أن يكون قد دخل فى علاقات منفعة مع بعض الأطراف
فيها، وهو يحبّ مدّ الجسور التى من هذا النوع، وهم لا يمانعون
بالطبع. ثم إنّ حسناً أعطانى عدّة خطابات؛ لكى تكون هناك عدة
بدائل، فيضمن فوز واحد من هذه الخطابات بالجائزة. فمثلاً هناك
خطاب يتضمن اقتراحاً بتأسيس جمعية لرعاية ضحايا الإرهاب
الدينى، وخطاب آخر يطالب بضرورة استيراد مرشّحات لتتقىة
منطقة حلوان من التلوّث الناتج عن مصانع الإسمنت فيها، وخطاب
يطرح فكرة إنشاء بنك لتمويل الأسر المتضرّرة من الزلازل والسيول،
على أن تقوم هذه الأسر بعمل مشروعات صغيرة تستردّ من خلالها
ما فقدته من أموال، وتصبح قادرة على مواجهة متطلّبات الحياة مرّة
أخرى. من سينرفض هذه الأفكار؟ وهل يوجد ما هو أكثر نبلاً

وحكمة من هذا؟ ألا تبدو وكأنّها أفكار عبقرية شديدة الإنسانية والواقعية والجنوح نحو المنفعة العامة، على الأقل بالمقارنة مع فكرة من نوع سنّارة وفرخة؟

تتهّد مفكراً وتساعل بيأس:

. طيّب، ما رأيك؟ ما العمل؟ دبّرني يا وزير. بصراحة أنا مصدوم للغاية، خصوصاً أن شروط المسابقة واضحة وتتّصّ على عدم اشتراك أيّ من العاملين في المجلّة أو المؤسسة فيها.

. حسن عبد الفتّاح لا يعدم حيلة في سبيل الحصول على مكسب، مهما كان صغيراً، فما بالك بقيمة الجائزة مليون جنيه بالتّمام والكمال؟ أنا أظنّ أنّه قدّم خطابات بأسماء أشخاص هو على صلة وثيقة بهم. أقرباؤه مثلاً.

. آه، نسيت أقول لك إنّّه فاتحنى في قيمة المكافأة، وحاول أن يعرف مبلغها على وجه التّحديد، وألح إلى وجوب حصوله هو ورئيس التحرير على جزء منها، لكنّى راوغته، وقلت له إننى لم أستقرّ على قيمتها بعد، وإن ذلك يتوقّف على حجم العمل، وما ستقومين به فعلاً. عقيبت على كلامه موضحة:

. هو كلّمنى أيضاً في الموضوع. هذا الشخص مقرف إلى حدّ الغثيان حاول تلطيف انفعالى فقال:

. ولا يهّمك، هذا نموذج شائع في كلّ مكان وزمان. المهم هل أنت مستريحة اليوم؟

. بصراحة، أنا مرهقة جداً، كنت على وشك النوم، عندما اتّصلت بى لكنّى جيئت، وأصبت بإحباط شديد عندما لم أجدك. كنت سأعود مرّة أخرى إلى البيت وبسرعة.

- إذن أنا آسف. اضطررت إلى الخروج بسبب ما حدث لابن الساعى، ولكن على أية حال، أنا أريد التعبير عن أسفى لك بطريقة أخرى، ما رأيك فى أن نذهب لتنعشّى معاً؟ نظرت إلى ساعتى، كانت تشير إلى الثامنة والنصف تقريباً، لا بأس من ساعة أخرى، أعود بعدها إلى البيت لأحمد وأنام. أعلنت له موافقتى؛ شريطة ألاّ نتأخّر. قال بسرعة:

- بالتأكيد لن تتأخرى، لكن لدى شرطاً آخر، أرجو ألاّ تسيئى فهمه أو تفسّريه على نحو خاطئ، وهو أننا سنتعشّى معاً فى بيتى؛ فأنا لا أريد الظهور معك فى أى مكان عامّ قبل ظهور نتيجة المسابقة؛ لأنّى لا أريد الربط بينى وبينك، وبالتالي الربط مع المجلة، فيستشفّ من ذلك، أننى المموّل للمسابقة قبل إعلان نتائجها. ترددت قليلاً وأنا أنظر إليه، لم تكن مسألة الذهاب إلى بيته مشكلة فهو لن يعزّنى، وأنا ضدّ نظرية الرجل والمرأة والشيطان وكلّ هذه الأفكار التى لا أقبلها أبداً، لكنّى خفت أن يضيع الوقت فى الطريق إلى بيته، وخصوصاً أن هذا اليوم كانت السكك مزدحمة فيه جداً، وأنا لا أريد العودة متأخرة إلى بيتى. قلت:

- طيب، ولكن لماذا لا نوجّل العشاء إلى أن تنتهى المسابقة؟ قال بسرعة:

- لا. أحبّ أن نتعشّى معاً هذه الليلة. قلت:

- طيّب ماشى. ولكن لا أحبّ أن أتأخّر.

جاءت السكرتيرة، طرقت الباب، وسألت بصوت هادئ خفيض:
 . هل تريد أى شىء آخر يا أستاذ زاهر قبل أن أروح؟
 . لا يا حبيبتي. بالسلامة.
 خرجنا من المكتب، تركته يتحدث فى الردهة إلى المحاسب،
 واتجهت خارج الشقة.
 طلبت المصعد. جاء ورائى بعد قليل، وقال وهو يشير إلى السلم:
 لا داعى للمصعد، تعالى من هنا أحسن.
 هبطنا طابقاً واحداً على الدرج، توجه إلى شقة تقع أسفل شقة
 المكتب مباشرة، رنّ الجرس، ففتح الباب رجل أسمر عجوز، بدا لى
 نوبياً، وما أن رآه حتى تهلل وجهه وابتسم قائلاً:
 . أهلاً يا أستاذ زاهر، تفضل. ثم حيّانى بابتسامة دافئة وقال:
 أهلاً.. تفضللى.. تفضللى يا آنسة.
 ولجت إلى بهو الشقة الفسيح، كل شىء جميل، أصيل، الأثاث
 القديم المنتقى بعناية، اللوحات الفنية على الحوائط، لمبات الإضاءة
 فى الأركان، السجاجيد العتيقة المفروشة على الأرضيات الخشبية،
 أخذنى إلى ركن بالقرب من الشرفة، أزاح الستار وفتح الباب
 الزجاجي المؤدى إليها، فبدا النيل على مرمى البصر، ينساب هادئاً
 جليلاً، ويخطف الروح ببهائه الأبدى.
 جاء الرجل النوبى بعد قليل، قدّم لنا كأسين من الليمون المثجج،
 فقال زاهر:
 . اسمع يا عمّ حسين، الأستاذة سوسن عاوزة تتعشى من يدك
 الحلوة، ولكن بأسرع ما يمكن. يعنى حلّ المعادلة الصعبة بسرعة،
 أرجوك.

عندما ذهب الرجل وبدأنا نرتشف شراب الليمون قال:
- العمّ حسين من المعالم التاريخية لبيتنا، يعنى من يوم ما وعيت
على الدنيا وأنا ألاقه هنا، وهو حالياً الإنسان الوحيد المتبقى لى من
عالم هذا البيت القديم، بعد وفاة ماما وبابا، وهو بمثابة كاتم
لأسرارى وسكرتيرى الشخصى، والمدبر أمور حياتى اليومية. وما
يعجبنى فى شخصيته، أنه راض عن نفسه دائماً، متصالح مع الدنيا،
وهو لا يكذب، لا يغش، لا ينافق. أحياناً يقول لى منتقداً هُدمى:

- ناوى تخرج وقميصك مكرمش... معقول يعنى؟!

حاولت مدّ جسور الكلام بيننا، فتفلسفتُ قائلة:

- العمّ حسين نموذج ينتمى إلى زمن راح وانقضى، كان كلّ شيء
فيه ثابتاً، راسخاً، هذا الزمن انتهى تماماً. كمّية المتغيرات واللخبطة
فى كلّ نواحي الحياة الآن، مذهلة جداً، كأنها طوفان قلب الدنيا
وجاء بنماذج من نوع حسن عبد الفتاح لتهيمن وتكون على السطح،
العمّ حسين من زمن قديم، أثر من زمن كان وتبدّد. نظر إلى طويلاً،
ثم قال:

- مثلى بالضبط.

- ربما. قلت، وواصلت: لكنك تحاول استعادة هذا الزمن، وربما

كان هذا هو الفرق بينك وبين العمّ حسين.

نظر إلىّ بدهشة، وكأنّه اكتشفنى فجأة ثم قال:

- أنا أشعر أحياناً أنّك كمعزة غاندى بالنسبة إلىّ.

- جسمك صغير وسوداء، لكنك حنونة وعمّالة فى تنزيل اللين،

أشعر أنتى لازم أن أقاوم كغاندى، ولن أصمد إلا بوجود معزتى معى،

أنت معزتى فعلاً.

معزة ١٩. سوداء ٩. أى تشبيه هذا ١٩. آية ألفاظ تلك ٩. لا أدري هل هذا مدح أم ذم. تذكرت حكاية الضب فضحكت وقلت:
- أنت تبحث عن عكاز، ولا تحتاج إلى معزة أو خروف، لكن المشكلة أنك تبحث عن العكاز عند الآخرين، خارجك، الأفضل أن تبحث عن عكازك في داخلك، اعرف الناس من جوارك، هذا هو الأهم. بصراحة أنت مزاجي خالص، وتعامل مع الدنيا والحياة، وكأنك تمارس نوعاً من الهواية.

قال بضيق:

- أنت غريبة جداً، أحياناً أشعر أنك مستوعبة مشكلتي تماماً، وأحياناً تبدين لي وكأنك بعيدة عني بالكامل، لقد كلمتك قبل الآن عن رغبتى في أن أنتمى إلى هذا المكان، إلى هذا النهر، إلى هذه السماء، أريد أن أفهم لغة الحياة والحب والموت هنا. أنا لم أبح لك من قبل بأنك كنت معيناً لي على ذلك، على رغم أنني أعرفك منذ فترة وجيزة، أنت نفسك كحالة، اقتراب من عالم أريد أن أعرفه، أنت نموذج خاص هنا، غير منتشر كثيراً لكنه موجود، عقلك منطقي واستقامتك عالية، ويبدو أن لديك معاناتك التي لا أعرفها. الحقيقة أنني لا أجد صعوبة في الحوار معك وهذا ما أفقده كثيراً، وعلى رغم علاقاتي الواسعة، ومعرفتي بالكثيرين، أنت معزتي، معزة غاندى المسكين فعلاً، الذي لا يعرف كيف ينتمى كغاندى الحقيقي، ذلك المنتمى العارف سكته وطريقه.

مشكلة زاهر كريم أنه يضعني دوماً داخل منطقة مشاعر متناقضة حياله. يبدو لي أحياناً، عاقلاً، ذكياً شديد الثقة بنفسه، لكنه سرعان ما يفاجئني بكلام من هذا النوع الذي قاله لي توأ. لا

أعرف ما الذى يريد هذا الرجل بالضبط؟ ما الذى ينقصه ويحاول الحصول عليه والإمساك به؟ ما الذى يريد الانتماء إليه، حتى يستريح وتقر عينه؟ لماذا يسعى إلى القلق والحيرة، وهو إنسان جميل فى إنسانيته، وقادر ومتملك ويستطيع أن يقول لأى شئ كن فيكون؟

قلت لأغير مجرى الحديث، لأننى زهقت من التفكير فى أمره:
- متى سترسمنى؟

- لو كان عندك وقت يوم الجمعة، نروح إلى أى مكان ناحية البحر، وأرسمك وأنت على الشط.
قلت ضاحكة:
- ياه .. مشوار.

لا مشوار ولا مشكلة، نروح ونرجع فى اليوم ذاته، لكن المطلوب هو منطقة خالية، لا أريد أن يرانا الناس معاً كما قلت لك، كان من الممكن أن نذهب ونبقى فى اليخت هنا، لكن المشكلة ستظل قائمة.
يخت؟ إذن هذا الرجل غنى جداً، أغنى مما تصوّرت بكثير، أخشى أن أكون قد تعلّقت به لهذا السبب، لهذا المناخ السينمائى الذى يعيش فيه وأقترب منه شيئاً فشيئاً. لا، أنا أريد الانسحاب، فلا طاقة لى على ذلك، وأنا أدرك كل النهايات المؤسفة لكل القصص من هذا النوع، لا أريد أن أكون سنديلاً العبيطة فأعيش فى سعادة لبعض الوقت، وأتوهم أشياء، ويأخذنى صخب الفرح، ثم أتلقى بعد ذلك خبطة على رأسى أفيق بعدها، لكن آثارها الداسية لا تزول بعد ذلك أبداً، فلأبقى فى عالم حسن عبد الفتاح وموظفة السجل المدنى، وضجيج شارعنا، وعمتى الراجعة من الحجّ وخططى للأحذية

والشباب، أنا كالمعزة فعلاً، جسمى صغير، لكن عقلى كبير ولست من النوع المتهوّر، المغامر، وهل لمن هو مثلى أن يغامر أو يجازف؟ لا، لا أرغب فى أن أضيع، وهذا الرجل لا يرغب إلا فى التسلية، فى استخدام نكّاشة أسنان جديدة يطوّح بها بعيداً، بعد أن تخلصه من متاعبه البسيطة الآنيّة.

أظن أن من هو مثل زاهر كريم، لابد أن يكون قد جرّب أنواعاً عديدة من النساء، جرّبها كما يجرب ويتذوق أصنافاً من الآيس كريم والحلويات الآن، يريد تذوق نوع جديد، نوع معيّن غريب لم يتعرّف إليه من قبل، ثم ما الذى يعجبه بى كامرأة؟ أنا سمراء جداً، ملامحى عادية، جسمى صغير بلا أبعاد تقريباً، أشبه تلميذة مدرسة أكثر مما أبدو شابة فى الثلاثين. أنا نادراً ما ألفت نظر الرجال كامرأة، لست فاتنة الجمال، ومظهرى عادى تماماً، حتى شعرى، والذى هو أغنىّ ما عنى، ألمه عادة وأكره أن أتركه منسياً على أكتافى. لا، يجب الانسحاب، قبل قوات الألوان.

قلت ضاحكة بافتعال:

- لا نسافر ولا يحزنون. البورتريه مسألة غير ملحة الآن؟ ثم من أدرانى أنك رسام شاطر؟ من أدرانى أن البورتريه سيكون جميلاً؟ ضحك بدوره وعلّق:

- أولاً، أنا رسّام شاطر؛ درست الرسم على يد رسّامة مجرّبة كبيرة، ولو سرت فى سكة الفن، لكنت صاحب شأن فيه حقاً. عموماً، ربّما أعود إلى الفن ذات يوم.

أما البورتريه، وهنا نصل إلى ثانياً، فأنا سأرسم جمالك كما أراه، سيكون لك أجمل بورتريه رأيته فى حياتك كلّها.

عموماً، أنا أشعر أحياناً أنك لا تصدقيني. أنت مترددة بشأنى،
أو ربّما تفكرين بطريقة خاصة بك لا أفهمها. أودّ أحياناً التسلل إلى
رأسك لمعرفة ما يدور فى داخله. أنت غامضة بعض الشيء.

دافعت عن نفسى بسرعة وقلت:

. بصراحة، أنت تفاجئنى بقراراتك دائماً، ولا أستطيع التنبؤ
بردود أفعالك، فمثلاً أنت تقول: نذهب إلى البحر لترسمنى، وتتسى
أنّه لاوقت لدينا، فأمامنا عمل كثير لحين انتهاء هذه المسابقة.
. أنا لا أرغب فى أن تنتهى هذه المسابقة، أريد أن تبقى علاقتنا
مستمرة أطول فترة ممكنة.

. أطول فترة ممكنة؟ تساءلت رغماً عنى ردّاً عليه. كنت
مصدومة من هذه العبارة تماماً، فأنا لا أفكر فى نهاية لهذه العلاقة
أبدأ، أريدها أبدية، بلا نهاية، مثلما كانت بلا بداية.
قال مستدركاً، وهو يمسخ بيده على شعره:
. أقصد، ألا تبقى مرهونة بزمان المسابقة فقط، أريدها أن تستمرّ
وتبقى. أرجوك حاولى أن تفهمى هذا.

قلت:

. إذن لدينا وقت، فلنؤجلّ مسألة الرسم حتى ننتهى من المسابقة،
وعموماً لم يبق أمامنا سوى أسبوع واحد. المسألة هانت، المهم أن
أتمكّن من فضّ الرسائل جميعها خلال هذا الوقت المحدد. على فكرة
هل أرسلت «المليون جنيه» إلى المجلّة أم لا؟
أجابنى قائلاً:

. لا.. لا، شرطى هو أن أقدمّ الشيك الخاصّ بالمبلغ فى مظهر
يحمل الرسالة الفائزة، وأن يكون الشيك لأمر الفائز. طبعاً رئيس

التحرير حاول أن يحصل على الشيك مقدماً، لكنني رفضت خوفاً من حدوث أي نوع من التلاعب، كما طلبت أن يصدر الشيك باسم البنك وليس باسمي. قلت:

- تصوّر من بداية المسابقة حتى الآن والمجلة تنشر حوالى أربعة أو خمسة إعلانات دائمة لعدد من شركات الشيكولاتة وصابون الفسيل، معنى ذلك أنّ المجلة صار عليها إقبال شديد، والمعلنون يحبّذون نشر إعلاناتهم فيها.

قبل ذلك كانت الإعلانات في المجلة نادرة، في الشديد القوى، إعلان كل حين وحين لشركة مصر للطيران مثلاً.

قاطعنا ظهور العمّ حسين ليقول لنا: تفضّلوا. العشاء جاهز.

ظلت طوال الأيام التالية لذلك المساء منغمسة في قراءة الخطابات معظم أوقات النهار والليل تقريباً، كنت أفيق مبكرة فأتناول فطوري مسرعة لأذهب بعد ذلك إلى المجلة فأحضر ما تجمع من بريد، ثم أعود إلى البيت، لأنكبّ على قراءتها وتصنيفها بعد ذلك.

كان العمل مرهقاً جداً؛ مما جعلني أندم لأنني رفضت فكرة المساعدين التي اقترحها زاهر كريم في البداية، وكنت مستفرقة في القراءة طيلة الوقت، لدرجة أنّ أمي اشتكت من ذلك؛ لأنها لم تبَلّ فمها بالكلام معي، ولو قليلاً منذ أسبوع تقريباً.

وصلت خطابات عديدة، تحتوي على سبّ وشتائم واتهامات شتى، كما كانت هناك رسائل أخرى تطالب بـ «المليون جنيه» للعلاج من أمراض مستعصية، وإنشاء مدرسة في قرية، أو إدخال مياه الشرب إلى منطقة ما من المناطق الجديدة المنتشرة في المدن، وكنت أسقط

من حساباتي مثل هذا النوع من الرسائل والتي تحتوي على أفكار
لا جديد فيها، وتطالب بمنفعة اجتماعية لشخص أو أشخاص، أو فئة
مهنية محدودة. من بين الرسائل التي قرأتها، رسالة يقول صاحبها
فيها:

● «بصراحة.. أنا مندهش من الكم الهائل من المسابقات الموجودة
في البلد، مسابقات صابون، مسابقات حلويات، مسابقات جبن،
مسابقات مساحيق غسيل، لقد صرنا تقريباً بلد المسابقات والجوائز،
والمشكلة أنّ هذه المسابقات تعكس نمط الحياة وطريقة تفكير
محددة، فحواها أننا صرنا نعتمد على الحظ، والفرص السابحة في
الهاء أكثر مما نعتمد على العمل والجهد والإنتاج. بتنا نؤمن بالقدر
أكثر مما نؤمن بالعقل؛ لذلك فأنا لا أستغرب كل كتب السحر
والشعوذة المنتشرة في السوق على أرصفة الشوارع؛ لأن هذا هو
معيار الوصول إلى الأهداف والنتائج الآن، إذا كنتم جادين. وتبحثون
عن فكرة نبيلة مفيدة للمجتمع، فلماذا لا تمنحون الجائزة لمشروع
حقّق فكرة على الأرض فعلاً؟ فكرة محسوسة ملموسة بدلاً مما لم
يتحقّق بعد؟. عموماً أنا لا أتوقّع منكم غير ذلك، فأنتم تروّجون لقيم
فاسدة مخزية، تحطّ من قيمة العمل والإنتاج».

مواطن مستجير منكم بالنبى.

قرب مساء يوم الخميس، حملت من بين الخطابات كلّها حوالى
عشرين خطاباً؛ لأعرضها على زاهر كريم. بدأنا قراءة الخطابات
حوالى الساعة السادسة. بعضها كان طويلاً جداً، وبعضها الآخر كان
عبارة عن جملة أو جملتين لا أكثر، أخذنا نتناقش ونتجادل كثيراً، فقد

كنت متحمسة لخطاب تدعو صاحبتة إلى تمويل النساء اللواتى ليس لهنّ مصدر للرزق عن طريق إنشاء بنك نسائي، وخصوصاً الأرامل والمطلقات والعوانس والمهجورات. كنت أرى هذه الفكرة طريفة وجديدة . لو طبّقت فى مجتمعنا . صاحبة الخطاب قالت إن الفكرة موجودة بالفعل فى بعض بلدان جنوب شرق آسيا وهى ناجحة جداً، وقد أعانت العديد من النساء على مواجهة الحياة ومصاعبها .
لم يتحمّس زاهر كثيراً لهذا الخطاب، بينما تحمّس كثيراً لخطاب آخر، اعتبرته أنا من نوع «ستارة وفرخة»، وكان مضمون هذا الخطاب كما يلى:

● عزيزى المسئول عن فكرة بمليون جنيه

بعد النحيّة الأخويّة الصادقة:

فكرتى المقدّمة والمقترحة لهذه المسابقة، غاية فى البساطة، وفرصتها للتحقّق عالية جداً، فنحن شعب جلّ أبنائه من الفلاحين المحبّين الخضرة، ونعرف جميعاً أن الخضرة نعمة، والزرع خير، وأن العيون التى تصافح الأخضر دائماً، تلامس بقلوبها السعادة عادة؛ لذلك فأنا أقترح أن تفرض ضريبة تسمى ضريبة الخضرة، عند ولادة كل مولود جديد، وهذه الضريبة عبارة عن قيام والديه، أو وليّ أمره أياً كان بزراعة شجرة أو نخلة، ويحبّذا لو كانت هذه الشجرة من الأشجار المثمرة، وتكون زراعة هذه الشجرة فى منطقة ولادة الطفل، أو فى مسقط رأسه، على أن يتعهّد وليّ الأمر برعايتها وسقايتها، كما يرضى طفله الوليد تماماً، وأن تمنح الشجرة اسم الطفل المولود ذاته، فإذا كان اسمه على محمود السيّد، يكون اسم الشجرة على محمود

السيد كذلك، وأقترح أن يكون القانون الصادر بهذا الشأن من الدولة، متضمناً مادةً تقيد أن الطفل لا يمكن قبوله في أية مدرسة، ولا يجري تطعيمه، إذا لم يكن اسم الشجرة ونوعها، وكل البيانات والمعلومات المتعلقة بها، مدونة في شهادة ميلاده، ويجب أن تتابع الأجهزة الحكومية المختصة، وأجهزة الحكيم المحلي، تفاصيل نمو هذه الشجرة وقضايا استمرارها على قيد الحياة، أي أن الشجرة تظل شاهداً حياً على ميلاد الطفل، ويظل وجوده المذني مرتبطاً بوجودها؛ فلا يستخرج له عندما يكبر بطاقة شخصية، أو جواز سفر، إلا بعد أن يثبت أن الشجرة سميت سميّة سليمة معافاة وعلى قيد الحياة.

أخوكم:

الشحات أبو اليسر

فاكهاني - شبرا البلد.

كان إعجاب زاهر بهذا الخطاب لا حد له، وكما توقعت - كان يرى أن صاحبها المنافس الوحيد لصاحبه رسالة «سنارة وفرخة» - وكان رأيي أن مثل هذه الأفكار، ما هو إلا نوع من شطحات الخيال لا أكثر ولا أقل، وأن تحقيقها على الأرض شبه مستحيل، إضافة إلى أنها بدائية جداً وغير عملية؛ لأنها تحتاج إلى درجة عالية من الوعي وحشد الجهود، أما هو فكان رأيها أنها معبرة جداً عن طبيعة الناس والتي يظن أنها بسيطة وعملية وعميقة في حدود معرفته المحدودة بهم.

انتهينا من قراءة الخطابات المرشحة للفوز جميعاً، دون أن نستقرّ على خطاب بعينه ليكون جديراً بالحصول على الجائزة. كنت قد

تأخّرت كثيراً، والليل أوشك على الانتصاف، بدا لى زاهر متوتراً للفاية، وفى حالة عصبية غير عادية، طلب لنا بعض السندوتشات، لكنّه لم يمسهأ حين جاءنا بها الساعى. قام فجأة وأخرج زجاجة ويسكى من دولاب فى المكتب وشرب كأسين منها.

كانت هذه هى المرة الأولى، التى رأيتة فيها يحتسى الخمر. بعد ذلك رأيتة يستلع بعض الحبوب، أظنّ أنّها حبوب مهدئة، أصبت بدهشة لذلك أيضاً. سألتة، وقد بدا عليه الإعياء فجأة: - مالك؟ هل أنت متعب؟.

قال بمرارة:

- المسألة مخيفة. فظيعة جداً.

تساءلت: ما المخيف، الفظيع؟

ردّ مستكراً سؤالى:

- ألم تلاحظى ما المخيف الفظيع؟ كلّ هذه الخطابات لا يوجد

بينها خطابان متّفقان على فكرة واحدة. ألا تدركين معنى ذلك؟ ألا

يعكس هذا شيئاً مخيفاً، فظيماً؟

لم أفهم مقصده على وجه التحديد، فقلت مدافعة عن غياب

التشابه:

- الناس لديها أفكار كثيرة مختلفة ومتباينة، وهذه مسألة صحيّة

ولا أجدها مخيفة أو فظيعة.

- هذا غير صحيح، الناس عادة تتفق، تخلق أشياء وعوالم

مشتركة، وتنتج أفكاراً متقاربة؛ إذا كانت تعيش حالة من التفاعل

والتمازج، إن هذا هو الطبيعيّ بالنسبة إلى أية جماعة بشرية يربطها

ماض مشترك وحاضر مشترك وتعيش على أرض واحدة. هل وجدت

فكرة مشتركة بين جميع هذه الخطابات؟

قلت بعد تفكير:

. إن في معظمها أفكاراً تعبّر عن الصالح العام.

. الصالح العام؟ تساءل. ثم واصل:

. إنّ هذه الخطابات لا تعكس بأية حال من الأحوال فكرة وجود

هدف كبير مشترك على مستوى المجتمع ككل، لم تكن هنالك فكرة

تتعلّق بمستقبل البلد، الوطن، المجتمع. بعبارة أخرى ليس هنالك

مشروع!.

قلت بسرعة:

. وهل لديك أنت مشروع؟، ثم إنّ هذه الخطابات لا تمثل كلّ الناس،

هناك ملايين من الناس لم يشتركوا في هذه المسابقة، هنالك عقول

مفكرة لديها بالتأكيد مشروع ما، لكنّها من المستحيل أن تشارك في

مسابقة تجربها مجلّة من نوع «ليل ونهار».

فكر قليلاً ثم قال:

. المسابقة ما هي إلا عينة صغيرة، تكشف عن مساحة أكبر من

النسيج، ولكنّي سأسألك بدوري، أين هؤلاء الملايين من الناس الذين

ظلّوا موجودين تحت دائرة الضوء يصنعون التاريخ؟ أين الذين كانوا

في الماضي يخرجون في المظاهرات يتحدثون البنادق والرصاص؟.

أين أولئك الذين كانوا يؤثرون في صنع القرار.. يغيّرون حكومات

وزارات ودولاً؟. هل ابتلعهم الطوفان؟. هل اختفوا فجأة من على

خريطة الأحداث وكأنّهم لم يكونوا أبداً؟.

أمّا المشروع، أجل لدى مشروع، كنت دائماً أحلم بأن أستكمل ما

بدأه جدي وأبي، أن تكون لنا صناعة مستقلة قادرة على المنافسة،

وصنع اقتصاد مستقلّ متين، لكنى كلّما توغّلت فى دنيا الأعمال أكثر، أشعر أن حلمى يبتعد، وأن قدمى تغوصان فى عالم تحكمه قوانين السمسرة والعمالة والارتباط بالغريب.. لا أعرف بصراحة إلى أين يسير مشروعى فى النهاية.

لا أعرف من أين أبدأ الردّ على كلامه؟ هل أحدثه أولاً عن الملايين، التى باتت الآن الأغلبية الصامتة؟ الأغلبية التى خرجت وهزمت إلى حدّ الانسحاق؛ بسبب فنون وشطارة السياسة الحديثة، وأساليب التهديد والوعيد بكلّ الأشكال والطرق؟ هل أقول له إن هذه الملايين يئست من كل إصلاح بعد أن ظلت تدفع الثمن طوال سنوات وسنوات من دمها، ولم يبق لها إلا لعق الجراح؟ أنت يا زاهر كريم لا تعرف ما الذى حدث «هنا»، أنت لا تدرك حجم المأساة، ومدى المهزلة.

سألته سؤالاً تبادر إلى ذهنى فجأة:

- متى رجعت من الخارج يا أستاذ زاهر؟

قال بسرعة:

- لا تقولى لى يا أستاذ من فضلك. قولى زاهر. عدت من سنين

قريبة.

- آه. قلت، ثم أضفت: إذن أنت لا تعرف جيّداً ما حدث خلال السنوات السابقة على ذلك، لا تعرف لماذا الأغلبية الصامتة صارت صامتة؟ ولماذا لدينا شعب بكامله مهاجر إلى الخارج؟. إن خمسة ملايين أو ستة ملايين هم شعب بحقّ وحقيق، ناهيك عن الهجرة إلى داخل الذات، التى فضّلها البعض؛ فتقوقع على نفسه ككائن رخو ينتظر أن تلقى به الأمواج بعيداً ذات يوم على الشاطئ، أى شاطئ

والسلام. إن الذين خرجوا من هنا، طردوا في الحقيقة؛ طردوا لأنهم لم يجدوا موضع قدم لهم بيننا، ولم يستشرفوا أملاً ومستقبلاً كما يقال.

ثم إنك عشت معظم حياتك في الخارج، بعيداً عن هنا، والآن لديك مشروع يتعلّق بهذا «ال هنا»، لا. المشروع هو مشروعك الفرديّ، الذاتيّ جداً في النهاية.

بدا متوتراً، مرتبكاً، وبدأت حبّات من العرق تلتصق على جبهته، على رغم أن الجوّ لم يكن حارّاً إلى هذا الحدّ خلال ذلك المساء. قال بضيق، وفجأة، كأن فكرة وافته في التوّ:

- اسمعي، مستحيل أن أستمّر في هذه المسابقة، فليس هناك خطاب من بين تلك الخطابات يستحق الفوز، سأصل غداً برئيس التحرير لأعلمه بقراري هذا. كل ما أفعله الآن هو نوع من التهريج والمسخرة.

صدمت. اغتظت في الحقيقة فقلت:

- ياخبر أسود.. لا.. لا أرجوك لا تفكّر هكذا، إلغاء المسابقة معناه فضيحة حقيقية لمجلة «ليل ونهار» فضيحة لا يعلم مدى حدودها إلا الله. إنك وعدت، ويجب أن تلتزم بوعدك وكلمتك. اسمع رأيي: رسالة «سنارة وفرخة» رائعة جداً، وكذلك خطاب الأشجار المثمرة لا بأس به.

بدا لي أنّه قد هدأ قليلاً فقال:

- طيّب. معك حقّ. خلاص، نختار فكرة «سنارة وفرخة» سأطلب رئيس التحرير يوم السبت وأسلّمه الشيك باسم صاحب الخطاب. على فكرة، سأعطيك الآن شيكاً بمكافأتك أيضاً، ولكن هذا لا يعني

أننى تراجععت عن رأى، فهذا ليس وطناً، وما نعيشه لا يمكن أن يكون مجتمعاً.

رأيت يده ترتعش وهو يفتح درج مكتبه ليخرج منه دفتر شيكاته، فقت له بصوت حاولت أن يكون هادئاً:

.. لن آخذ مكافأة منك. لا أريد هذه المكافأة.

قال بحزم وهو يكتب الشيك ويوقعه:

.. هذه المسألة غير قابلة للمناقشة. لابد أن تأخذى الشيك. مد

يده بالشيك، أخذته منه، وفى لحظة واحدة مرّفته تماماً، ثم ألقيت به فى مطفأة السجائر التى أمامه، وأنا أقول مبتسمة:

.. فعلاً.. لا داعى للمناقشة.. والآن، اتركنى أرجع إلى بيتى لأنى

عاوزه أنا.

قام عن كرسيه خلف مكتبه، اقترب منى، أمسك بيدي بكلتا يديه وراح يطبق عليها بقوة، بينما دموع تتفجّر فى عينيه وتسيل على خديه قال:

.. من أنت؟. قولى لى من أنت؟. أنا أريد أن أعرفك، أنت

تريكينى كثيراً ولا أستطيع فهمك، ولا أعرف كيف أتعامل معك.

انهار جالساً على الكرسيّ قبالتى وهو يبكى، فوجئت به تماماً على هذا النحو من الضعف والانهيال. حرت. ما الذى أفعله ليكفّ عن بكائه هذا؟. هل أريت على ظهره لأواسيه، أم أذهب وأتركه وحيداً يبكى كما يشاء حتى يستريح ويتماسك مرة أخرى؟. أظن أن الخمر والحبوب التى ابتلعها هى السبب فى حالته هذه. ولكن بماذا أواسيه؟. وعلى أى شئ أواسيه؟. ولماذا هو متفعل إلى حدّ الانهيال هذا؟. أنا بالفعل لا أريد المكافأة، على رغم حاجتى الماسة إلى

الفلوس، فكّرت كثيراً فيها، وبنيت أحلاماً كبيرة عليها. قلت سأشتري لأمّى فيديو وأجدد فرش البيت وأدعو بعض أصدقائي إلى رحلة على البحر وأهيص، لكن بعد تفكير فكرت أنها مسألة مهيّنة بالفعل، فلو كنت أستحق مكافأة على عملي، فيجب أن أخذها من المجلة وليس من زاهر كريم، فأنا لا أعمل عند زاهر كريم.

آه لو يعرف زاهر كريم كم أحبّه الآن. آه لو يعلم كم أنا راغبة في أن أستمّر في رؤيته وتنمية علاقتي به، بعيداً عن الفلوس والعمل والمجلة. آه لو يدرك أنه واحتى الظليلة في صحراء حياتي المقفرة؟ اقتربت منه، قلت هامسة له:

- أرجوك يا زاهر، أرجوك لا داعي للبكاء. أنت في مكتبك، وصوتك قد يصل إلى الموظفين خارج الغرفة. بصراحة أنت في حاجة إلى طبيب؛ لأن أعصابك متوترة فعلاً، أو.. حاول السفر إلى مكان بعيد لفترة حتى تهدأ أعصابك أرجوك.

التفت إليّ، مسح دموعه بكمّ قميصه كتلميذ صغير في مدرسة ابتدائية، وبدا وجهه نحيلاً وجميلاً جداً في هذه اللحظات بكل ما فيه من شحوب وبعينيه المبتلّتين بالدموع. قال فجأة وهو يهبط واقفاً:

- تعالى.. عاوز أحضنك.. أرجوك.

ارتعشت، كنت أرغب في احتضانه أيضاً، اقترب منّي، احتوته في صدري، تعانقنا طويلاً، وأنفاسنا تتصاعد كخلفية موسيقىّة وحيدة لمشهد لن أنساه طوال حياتي. تلاقت شفّتنا أخيراً في قبلة طويلة بدت لي بلا نهاية أبعدته عني بعدها، وأنا أهمس بصوت خدِر:

- لا بد أن أعود الآن.

قال:

- طيّب. لكن يجب أن أراكِ غداً. أريد أن أرسمكِ بسرعة.

قلت:

- فلنؤجل ذلك.. أرجوك.

اقترب مني، قبلتي على خدي وقال:

- طيّب، ليكون فيما بعد، لكنني سأُتصل بكِ غداً؛ لكي تأتي فعلاً.

قلت حازمة:

- لا.. لن آتي غداً، فهو يوم الجمعة، ويجب أن أذهب مع أمي إلى عمتي؛ لأنها عادت من الحجّ.

- إذن.. فليكن السبت. قال فقالت:

- لا.. السبت لا.. الأحد.

خلال الأسبوع التالي، ذهبت إلى زاهر كريم في بيته عدّة مرات، كنا نمضي ساعات طويلة معاً، بعد انتهاء عملي وعمله، كنّا نستمع إلى موسيقى ونُحدّث في موضوعات كثيرة متباينة، وكان مصراً على أن نذهب إلى مكان ما بالقرب من البحر حتى يرسمني. أقنعتُه بالتخلّي عن هذه الفكرة، فأنا لا أستطيع أن أغيب عن أمي طويلاً، بالإضافة إلى ضرورة عدم ظهورنا معاً في أيّ مكان حتى تنتهي المسابقة، قال: إذن سأرسمكِ هنا. وافقت.

في اليوم التالي، عندما ذهبت إليه خلال النهار، قام وأحضر اللوحة والفرشاة والألوان، وبينما هو يبدأ في الرسم قال لي إنه يتمنّى أن يرسمني عارية؛ فجسدي متناسق وجميل على رغم صغره، وهو يحب رسم النساء العاريات.

قلت له:

- إننى لا أحب رسوم النساء العاريات، وأنا لا يمكننى أن أتعرى وأعرض جسدى فى لوحة لأى رجل. ثم لماذا لا ترسم رجلاً عارياً؟
قال إنه ليس أى رجل، إنه الرجل الذى يحببنى ويعشقنى، مثلما لم يحبّ أو يعشق أية امرأة أخرى من قبل.
خلال ذلك النهار، كنّا عاشقين حتى الثمالة فعلاً، استطلقنا جسدنا بكل الشفقات الممكنة لنصوصهما السرية الغامضة، كنت معزته، وكان واحتى، فكم شربت المعزة من مياه الواحة، وكم اطمأنت الواحة بأنّها ليست وحيدة فى هذا الكون.
رسم صورة لى: العينين، الشعر، الرقبة، لكنّه لم يكمل بقية ملامح وجهى ثم قال:
- خلاص.

- خلاص؟ أين الأنف، الشفتان، بقية تفاصيل الوجه؟
قال:

- رسمت ما عرفته فيك، سأرسم الباقي عندما أعرفك أكثر.
ضحكت، قلت له:

- أنت مجنون بالتأكيد يا زاهر، لكن عموماً، أنت بارع فى الرسم فعلاً، هذا شعرى، هذه عيناى، ضحكت بسعادة مرة أخرى، وأنا أقول:

- هذه أنا بالفعل، على رغم خطوطك الرفيعة، الدقيقة الغامضة والباهتة كثيراً، لماذا لا تستمر فى سكة الرسم؟
ابتسم وقال:

- هذه حكاية طويلة، وهل سرت فى طريق واحد أبداً؟ أنا فى

الحقيقة مسخ.. كائن لم يكتمل أبداً؛ لأنه ولد فى سياق خاطيء فى الأساس، هل تعرفين كيف جئت إلى الحياة؟ أبى كان أبوه إقطاعياً كبيراً، وكان مدلاً جداً وفاشلاً فى التعليم، قضى معظم شبابه فى أحضان نسوان الكباريات المشهورة فى مصر و الراقصات، وعندما مات أبوه فجأة فى بداية الحرب العالمية الأولى، وجد نفسه وريثاً غنياً، فلم يدر ماذا يفعل بالفلوس؛ فاقترحت جدتى تزويجه من قريبة لها على أن يفعل بحياته ما يشاء. وهكذا جئت أنا دون أى تخطيط، مثلما دخل أبى إلى دنيا الأعمال دون أى تخطيط؛ حيث دفعته أمه دفعاً إلى إنشاء مصنع نسيج بآرك الله فيه، وكان خميرة ثروة ضخمة اتسعت عبر مجالات كثيرة منها سفن الشحن التى أعمل بها الآن، لكن معظم هذه الثروة راحت وقت التأميم، إذن.. أنا مسخ جاء إلى الحياة بالصدفة، وأصبحت رجل أعمال بالصدفة، ولم يكن لى طريق واضح أبداً فى أى شىء فى الحياة.

كنا نجلس معاً فى غرفة داخلية فسيحة، بمثابة مرسوم له، كنت أجلس قبائله على كتبة وثيرة ومريجة مغطاة بنسيج من المخمل الداكن المنقوش، بينما ألحان ديبوسى الفامضة، التى فضل أن يرسمنى على أنغامها، مازالت تتردد فى المكان. جاء ليجلس إلى جانبنى ويقول:

- اسمعى. سأبوح لك بسرّ. موضوع المسابقة كله، كان الهدف منه، مسألة محددة جداً، فقد حاولت أن استخدمها كمرشد فى حلّ مشكلة شخصية تخصنى جداً.

سألته:

- آية مشكلة؟ مشكلة خاصة بك؟.

- بالضبط. فلقد اكتشفت منذ فترة، وبالصدف البحتة أن والدى، ظلّ متهرباً من الضرائب، طوال فترة نشاطه التجارى، لقد قدّرت حجم تهريبه الضريبى، فاكتشفت أنه يزيد عن مائة مليون جنيه. تصوّرى!!

نظرت إليه بحدّة وفكّرت، ما رجل الأساطير هذا؟ هل هو مجنون؟ أحياناً لا أستطيع تصديقه، وأحياناً أشعر أنه مريض، مختلّ.

رحت أردد:

- مائة مليون.. مائة مليون.. يا خبر!؟

- على الأقلّ، هذا تقدير أولّى سريع، وسريع جداً؛ يعنى أن الرجل كان بمثابة لصّ على مستوى رفيع جداً، وكنت أعتبره قبل ذلك مثلى الأعلى فى الحياة.

قلت لأهون عليه:

- لكن. ما المشكلة فى ذلك؟ فمعظم الرجال العاملين فى حقل الأعمال يتهربون من الضرائب، عادى جداً، ألا تقرأ الصحف كلّ يوم، وتطلع على حوادث التهريب الضريبى، لماذا تهوّل فى هذا الموضوع؟ صرخ قائلاً:

- هذه هى المصيبة الكبرى. التهريب من الضرائب مسألة عادية، ومقبولة، يعنى ابن الساعى كان من المحتمل أن يموت فى المستشفى؛ لأنّ المستشفى ليس فيها رصيد دم، ولا يوجد رصيد دم لأنه لا توجد فلوس، ولا توجد فلوس لأنّ أبى لم يدفع الضرائب. أرايت كيف كان أبى سيشارك فى قتل ابن الساعى؟ أليست هذه قمّة الإجرام؟ لا.. لا ، أنا لا أحتمل ذلك، لابدّ وأن أدفع «المائة مليون» بشكل

من الأشكال، حتى لو أدى ذلك إلى تزعزع وضعى فى السوق. خطتى كانت أن أقدم «المائة مليون» لأى مشروع يعبر فعلاً عن مصلحة المجتمع، ويعود عليه بالفائدة، لكنّ الكارثة الحقيقيّة هى أن ما ظننته مجتمعاً ليس بمجتمع «هذه هى المسألة» كما يقول هاملت. أنا يائس، يائس جداً، وأشعر أن لا فائدة.

لم يكن قد شرب أثناء ذلك غير كأس واحدة، لكنّ عينيه، كانتا قد بدأتا فى الاتساع والاحمرار، خفت أن ينهار ويكى مثلما فعل فى المرّة السابقة.

قلت له:

ـ أرجوك لا داعى للانفعال، دعنا نفكر معاً فى حلّ ملائم لهذه المشكلة، فأنت تجلد نفسك بسبب ذنب لم تقترفه، تريد أن تتطهر من جرم لم ترتكبه، وكأنك واحد من أبطال تراجيديا إغريقيّة قديمة تطارده لعنة آبائه وأجداده، لن أقول لك: ردّ المبلغ لمصلحة الضرائب. فربّما حصلّه موظّف فاسد ودبّه فى جيبه بهدوء.. لا، فلنفكر بهدوء حتى نجد حلاً لهذه المشكلة.

سحبت رسمى من على الحامل وقلت له:

ـ سأخذ هذا الرسم كتذكّار منك. لا تكمله، وقعه فقط.. أنا أحبه هكذا. وقع الرسم، فأخذته وقبلته ثم انصرفت.

ذهبت إلى المجلة صباح يوم السبت، لم يكن حسن عبد الفتاح موجوداً فى مكتبه، فأدركت أنّه ربما يكون قد ذهب إلى زاهر كريم؛ لأنّه أخبر المحررين أنّه سيغيب فى مشوار خارج المجلة لمدة ساعة، ومن الضروريّ أن أنتظره حتى يعود.

عاد حسن قبل موعد الانصراف الرسمى بوقت قليل، وبمجرد أن دخل مكتبه طلبنى فوراً. ذهبت إليه، فوجدته ثائراً كثور فى حلقة سباق، وهذا ليس تشبيهاً مجازياً؛ فهو عندما يغضب وينفعل، ينتفخ وجهه ويحمر جلده، ويبدو شكله أقرب إلى أشكال الحيوانات وبمجرد أن رآنى أمامه، صرخ قائلاً:

- ما هذا التهريج؟ ما هذه النتيجة المهزلة للمسابقة؟ هل تتصورين أن رئيس التحرير سوف يقف فى حفل عام، وأمام عدسات الصحف والتلفزيون ليعلن أن الرسالة الفائزة بمليون جنيه هى رسالة سمك وفراخ؟

صححت له بسرعة:

- سنارة وفرخة يا أستاذ حسن.

- سمك وفراخ، سنارة وفرخة، كله زفت. من المفترض أنك عاقلة ومتزنة ومستوعبة لطبيعة العمل فى المجلة، لكنك لم تحاولي التأثير على ذلك المجنون.. أمرك عجيب فعلاً. لماذا لم ترفضى هذه الرسالة؟ لماذا عرضتها عليه أساساً؟ ولماذا لم تقترحي واحدة معقولة بدلاً منها؟

انفجرتُ بحدّة قائلة له:

- ومن قال لك إننى لم أحاول التأثير عليه؟ هه. من قال لك إننى لم أناقشه، وأحاول أن أجعله يغيّر رأيه؟ لماذا تلومنى بينما أنتم فى المجلة قبلتم بشروطه كلها دون قيد أو شرط؟ هو قال لكم منذ البداية إنّه صاحب القرار النهائى فى اختيار الرسالة الفائزة، وأنتم وافقتم على ذلك، دورى كان محدداً، كان. وفقاً لكلامك أنت. لا يتعدى أن أقوم بعملية الفرز والعرض. خلاص. أنا عملت المطلوب منى.

هدأ قليلا بعد أن طوّحت به عاصفتي، لكنه بدا وكأنه يغلى من الداخل فقد راح يكرّز على أضراسه، ويهزّ رأسه هزّات عصبية بين الحين والحين بينما كان ينظر إلى مكتبه مفكراً، سكّت برهة ثم قال:

. طيّب. معك حق، روحى، روحى خلاص.

وقفت أمامه قليلاً، كنت أغلى بدورى، وكنت أفكر متوجّسة منه؛ لأنّ ثورته التى انتهت فجأة لن تمرّ على خير أبداً، هو سيخطط لمؤامرة ما بالضرورة، أنا أخشى على زاهر منه وأخشى أن يورطنى فى مشكلة لست طرفاً فيها أبداً.

قلت قبل أن أذهب فى محاولة منى لفهم ما ينوى القيام به:

. طيّب، وما العمل الآن.. كيف ستتصرف؟.

ابتسم بخبث وقال:

. لاشئ. زاهر كريم أمسكنى من يدى المواجهة. حَضَرْتُهُ كتب الشيك وأعطاه لى، لكنّه لن يقبل الصرف قبل إعلان النتيجة.

. يعنى خلاص. لا يوجد أى حل.

حمدت الله فى داخلى، فزاهر ليس بقليل، وقد قطع خط الرجعة على حسن ورئيس التحرير، وهما لن يستطيعا التلاعب فى نتيجة المسابقة بعد ذلك، لكن الطريقة الخبيثة التى قال بها: «لا يوجد أى حل»، وابتسامته الماكرة اللئيمة جعلتني أتراجع قليلاً عن ارتياحى، ففادرت الغرفة وأنا أقول لنفسى، إنه السبت، دائماً يوم السبت.

اليوم الأخير من شهر سبتمبر، يوم لن أنساه أبداً طيلة حياتى، فقد بدأ ذلك اليوم ومنذ الصباح الباكر ببروفة أكتوبرية غير معتادة خلال ذلك الوقت من العام، عواصف ترابيّة باردة وغيوم سوداء،

وشمس لا تستبين إلا بين الحين والحين، قلت لأمتى وأنا أغلق النافذة وأسدل عليها الستار بينما أستعد للخروج:
- شتاء مستعجل على غير عادته:

كان ذلك اليوم هو اليوم المحدد، المتفق عليه للإعلان عن نتيجة المسابقة، وهكذا كان على الذهاب إلى واحد من أكبر فنادق القاهرة المطلة على النيل؛ لأشهد نهاية القصة التي وضعتها الأيام في طريقى.

فى هذا اليوم، خرجت من البيت مبكرة بعض الشيء، بالغت فى أناقتى وكأنتى ذاهبة إلى حفل عرس، ارتديت ثوباً من الحرير الوردى المنقوش بزهور زرقاء رقيقة، كان بسيطاً فى طرازه وخياطته، لكنه كان جميلاً بالفعل. ذهبت إلى الحلاق خلافاً لعادتى وصففت شعرى، بعد أن قصصته قليلاً، فبدأ وجهى أجمل من قبل. كانت خطتى لمساء ذلك النهار، أن أحضر الحفل، ثم أذهب بعد ذلك إلى زاهر كريم؛ لأحكى له تفاصيل ما شاهدت، ثم نحتفل بنهاية عملنا على طريقتنا المفضلة.

بدأ الحفل بسماط للمأكولات والمشروبات، افتتحه رئيس مجلس إدارة «مؤسسة ليل ونهار للصحافة والنشر» كان رئيس التحرير وحسن عبد الفتاح على رأس الموجودين بالطبع، حضر الحفل عدد كبير من الناس؛ شخصيات صحفية كبيرة ومعروفة، نجوم مسرح وسينما وتليفزيون، ورجال أعمال وموظفون كبار فى الدولة، كانوا جميعاً نخبة المال والأعمال، جلهم من نوع انفتاحى معشواً وسمسار الجبار، وعالمة شخلع، وشايل مشيل، وقد جاءوا متكررين على هيات بشرية، لكنى تمكنت من اكتشافهم على الرغم مما ارتدوه من ملابس

فاخرة، وتحلّوا به من ذهب وجواهر، وكل ما بذلوه فى سبيل التجميل والتألق؛ فالشعور المرتبة المقصودة بعناية، ووجوه النساء المزينة بدقة، لم تستطع أن تخفى القرون والأفلاك ذات المناشير الحادة، وقد ارتفعت إذ أحسست أن الدم يسيل من شفاه بعضهم فأغمضت عينى وقلت: ياه.. ألدينا كل هذا الكمّ من الوحوش، مصاصى الدماء! فلم أكن اتصور أن أعدادهم كبيرة إلى هذا الحدّ، وزاد رعبى وأنا أنظرهم يهجمون على الطعام بعنف وشهوانية، فتراجعت، وقيعت وأقفة وحدى فى أقصى ركن فى المكان، فلقد كنت خائفة.. خائفة، وأوراق جديدة من شجرة اليأس تتبرعم فى داخلى، وأنا أقول فى نفسى: لا فائدة.. لا فائدة من هذا الزمان أبداً.

بعد الأكل والشرب، توجّه الجميع إلى قاعة حفل الإعلان عن الفائز فى المسابقة؛ حيث جلس رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير وحسن عبد الفتّاح أمام المنصة يتحدثون إلى الجمهور. تحدث رئيس التحرير فى البداية عن المسابقة، وقال إنها تأتى فى إطار الدور التنويرى الهادف إلى مواجهة قوى الظلام فى المجتمع.

كما أشار إلى الهدف النبيل الكامن وراءها ثم تحدث حسن عبد الفتاح باعتباره مسؤول قسم الاجتماعيات فى المجلة؛ ليدلى ببعض المعلومات عن المسابقة؛ فقال: إن الخطابات الواردة إلى المسابقة زادت عن «المليون خطاب» وكان يكذب بالطبع، فهذا رقم مبالغ فيه جداً، كما أشار إلى وجود فريق عمل مكون من سبعة من محررى المجلة، ظلّوا يعملون ليل نهار فى فرز الخطابات بحماس شديد، كما أعلن أن المجلة كانت تتفد فى اليوم التالى لصدورها بسبب المسابقة

(كله كذب)، ثمّ أنهى كلمته بشكر رئيس التحرير، صاحب فكرة المسابقة، أما المفاجأة الكبرى خلال هذه الليلة، فسوف يعلنها بعد إعلان اسم الفائز سعيد الحظ، الحاصل على مليون جنيه.

أعلن رئيس مجلس إدارة المؤسسة اسم الفائزة بعد أن أمسك بالميكروفون، كان اسمه إبراهيم حفى عبد السلام، عن رسالته التى تطالب بإنشاء جمعية تهتم بضحايا الزلازل والسيول.

بهت، إذن فقد تلاعب حسن عبد الفتاح ورئيس التحرير فى نتيجة المسابقة، وخدعا زاهر كريم. لم أصدّق فى البداية، أصبحت فى حيرة شديدة؛ فالاسم الذى أعلنه هو الاسم نفسه الموقع به على رسالة «سنارة وفرخة». وقعت فى حيص بيص، انسحبت بسرعة من الحفل، وغادرت المكان لأدخل دورة المياه؛ حتى أنفرد بنفسى قليلاً وأفكّر فى الأمر.

أخذت أقلّب المسألة على كلّ وجه. هل يمكن أن يكون الشيك قد زوّر، وظهّر لصاحب الرسالة المعلن عنها مثلاً؟. استبعدت ذلك لأنّ هذا تزوير مفضوح، وحسن عبد الفتاح ورئيس التحرير لن يعرضاً نفسيهما للمساءلة القانونية بأية حال من الأحوال. إذن، هل من الممكن أن يكون اسما صاحبيّ الرسالتين متشابهين إلى هذا الحد؟. توقفت عند هذه الفكرة قليلاً، لكن سرعان ما تفتق ذهنى عن إجابة بدت لى مستحيلة فى البداية، لكنّ بدأت أقنع بها شيئاً فشيئاً بعد ذلك.

فعلى الأغلب أنّ حسن عبد الفتاح ورئيس التحرير، أرسلوا أكثر من رسالة بهذا الاسم، مثلما أرسلوا رسائل أخرى بأسماء مكررة لأشخاص بعينهم. رحى أتذكر، فعلى رغم أننى لم أكن أتوقّف عند

الأسماء كثيراً أثناء القراءة، إلا أنني كنت ألاحظ تكراراً في بعض الأسماء. عموماً هذه مسألة ممكن اكتشافها بعد الرجوع إلى الرسائل مرة أخرى.

ولكنّ معنى ذلك أنّهم أضافوا رسالة لم ترسل وقت المسابقة باسم صاحب رسالة سنّارة وفرخة، إذن هنا يمكن التحدث عن تزوير صارخ وفاضح. دخلت الحفل مرة أخرى؛ حتى لا تقوتني مشاهد الأخيرة، ولأتابع المهزلة حتّى نهايتها. جلست هادئة، وإذا بى أفاً بحسن عبد الفتّاح يعلن أسماء رجال الأعمال الممولين للجائزة، وكانت هذه. وكما قال. مفاجأة الحفل التي يعلنها لأول مرة.

طار صوابي، ولم أتصور مدى فُجْره، خصوصاً وأنّ رجال الأعمال هؤلاء كانوا أصحاب شركات الصابون والمنظّفات الصناعيّة والحلويات، التي ظهرت إعلاناتها طوال فترة المسابقة على صفحات المجلة، وكنت أظنها إعلانات سببها رواج المجلة الناتج عن هذه المسابقة.

آه.. لقد قرّر رئيس التحرير وحسن عبد الفتّاح الإعلان عن أسماء هؤلاء كمولين للمسابقة؛ مقابل نشر إعلاناتهم في المجلة.. يالها من مؤامرة اكتملت خيوطها واتضّحت أمامي تماماً الآن.

اشراييت بعنقى حتى أرى الفائز وهو يتسلّم الشيك من رئيس مجلس الإدارة، بدا لي أنه يشبه حسن عبد الفتّاح، لم أحتمل الاستمرار، تركت المكان مرّة أخرى، وقرّرت إبلاغ زاهر هاتفياً بالأمر. هبطت إلى الطابق الأول في الفندق، دخلت غرفة الهاتف، طلبت زاهراً في مكتبه، أخبرتني السكرتيرة أنه في البيت.

طلبته في البيت، أخبرته بسرعة بكلّ ما حدث، قلت له إنّ عليه

التصرف بسرعة، وإنه لابد أن يبلغ النيابة بالأمر حتى تفتح التحقيق فوراً.

إنها فضيحة، لكنهم استندوا فيها بالأساس إلى أنك لا ترغب فى الإفصاح عن نفسك كممول لهذه المسابقة، وأخبرته أنتى سأضع نفسى فى أول سيارة أجرة وأذهب إليه.

خرجت من غرفة الهاتف، وسرت فى اتجاه باب الفندق الدوار، وبينما كنت أدور لأخرج، رأتنى زميلة سميّة عزمى، المحررة فى قسم الحوادث وسألتنى مندهشة: كيف أترك الحفل وأذهب؟؛ إذ أنه من المفترض أن يقدم لى رئيس التحرير شهادة تقدير باعتبارى رئيسة اللجنة التى قامت بفرز الرسائل، وسألتنى فجأة:

هل صحيح أن الفائز يمتّ بصلة قرابة لحسن عبد الفتاح؟.

بهت للخبر، سألتها بلهفة عن مصدر هذه المعلومة، فأخبرتني أنها إشاعة قوية باتت تتردد منذ يومين فى المجلة، وأن المسابقة كلها حولها ضجة كبيرة شاركت فيها أطراف عديدة من المجلة وخارجها ثم إنها رفضت أن تمدنى بأية تفاصيل.

تركتنى بينما رحلت أسأل نفسى: وهل يوجد دخان بلا نار؟. فالإشاعة لا يمكن أن تكون قد جاءت من فراغ، وربما كان إحساسى فى محله، فالرجل كان يبدو قريب الشبه جداً من حسن عبد الفتاح.

هل أرجع إلى الحفل مرة أخرى لأحصل على معلومات إضافية.. أم أواصل طريقى؟. ترددت قليلاً فى مكانى، لكننى قررت بعد ذلك. أن أستكمل طريقى إلى زاهر كريم.

ركبت أول سيارة أجرة صادفتنى، كنت أغلى طوال الطريق، لم

أشعر أنني مخدوعة فقط، ومستغفلة، لكنني كنت أشعر بإهانة ضخمة، وبنوع من الغبن الشديد، لقد غُرِرَ بي، ضحك عليّ حسن عبد الفتاح ورئيسه، ولكن لا... صبراً آل ياسر.. فلن أسكت، ولن يسكت زاهر كريم عما حدث بأية حال من الأحوال.

استقرت السيارة أمام العمارة، أعطيت النقود للسائق بسرعة، وعدوت إلى المدخل دون تفكير، صعدت الدرج قفزاً ولم أنتظر المصعد، كنت في حالة مذهلة من التوتر والقلق والانفعال، وأرغب في رؤية زاهر في التوّ والحال؛ لأحكي له بالتفصيل عما دار في الحفل؛ حتى يتدارك الأمر ونوقف بسرعة هذه المهزلة.

ما أن وصلت إلى مدخل الشقة، حتى فوجئت ببابها المفتوح وأصوات غريبة تنتهي إلى من الداخل، تعجّبت. ماذا حدث؟ هل زاهر مريض؟ هل هناك مشكلة ما؟

رنت الجرس وخطوت من الباب، دون أن أنتظر إذناً بالدخول، كان العم حسن واقفاً في ركن المدخل يبكي وينهت كالأطفال، بينما وقف رجلان آخران إلى جانبه. سكرتيرة زاهر كانت واقفة تتحدث في الهاتف بصوت مصروع طالبة الإسعاف، أما زاهر، واحتى، فكان ممدداً على الأرض غارقاً في دمائه. لم أتمالك نفسي، صرخت، ارتميت عليه، أصابتني حالة من الهستيريا وأنا أتلّمس وأتحسّس بيدي دمه. رحت أصرخ بلا انقطاع. بدا صوتي في أذني كصوت معزة تستجير.

رأيت مسدساً ملقى إلى جانبه بالقرب من رأسه، رحت أردّد: انتحرت، انتحرت يا زاهر!!

دفعني الرجلان بعيداً عنه، كانت السكرتيرة منهارة هي الأخرى،

بدت لى وكأنّھا ممثلة مسرح، كانت تؤدى دورھا منذ قليل، وعادت إلى شخصيتها الأصلية الآن.

بعد فترة توقّظت عن الصراخ والبكاء، أصبت بنوع من البرود الغريب، بينما كنت أتأمل عينيه المفتوحتين وهما تحدّقان فى اللاشئ بسؤال ما . كان وجهه محتفظاً بتعبير ألم غريب، هذا الوجه لن تفارق صورته عيني ما حييت.

إذن.. فعلتها يا زاهر، قرّرت أن تتسحب وتهرب. تركتني فى المأزق وحدى وذهبت. تخلّيت عني فى أشد لحظات احتياجي إليك. هل انتميت الآن؟. هل عرفت نفسك وعرفت المجتمع والناس؟. أظن أنك كنت راغباً فى الانتماء إلى الموت، إلى العدم، ولا شئ غير ذلك. بكيت بحرقة وأنا أتأمل العمّ حسين ووجهه يقطر حسرة، كان منظر العمّ حسين فى حزنه مؤلماً جداً، رحت انتحب ومرارة قاتلة تخنقني، كنت أشعر أنّ حلماً كان قد بدأ يتشكّل قد ضاع مني، كان ما بيننا نواة مشروع، مشروع كان من الممكن أن يكبر ويتسع ونصنع منه شيئاً، ولكن: أى مشروع كان؟. من الممكن أن ينجح معك يا زاهر كريم، ألم تقل لى يوماً إنك ولدت كالمسوخ؟. تاريخك مشوّه ومضطرب، فلا أنت تنتمي إلى هنا، ولا أنت تنتمي إلى هناك، رحت أفكر فى ذلك وأنا أغادر بيته، بينما كان صوت منبّه سيّارة الإسعاف يخترق أذنيّ، ويحتد فى داخلي السؤال.

صدر للكاتبة

- زينات في جنازة الرئيس (قصص قصيرة) ١٩٨٦، القاهرة.
- مقام عطية (رواية وثلاث قصص قصيرة) ١٩٨٦، دار الفكر القاهرة.
- عن الروح التي سُرقت تدريجياً (قصص قصيرة) ط١، ١٩٨٩، مصرية للنشر، القاهرة - ط٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- العربة الذهبية لا تصعد إلى السماء (رواية) ط١، ١٩٩١، سينا للنشر، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٠، دار سحر للنشر، تونس.
- عجيب الفلاحة (قصص قصيرة) ١٩٩٢، سينا للنشر، القاهرة.
- وصف البلبل (رواية) ١٩٩٣، سينا للنشر، القاهرة.
- أرائب (رواية قصيرة وقصص) ط١، ١٩٩٤، سينا للنشر، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- إيقاعات متعاكسة (قصص قصيرة) ط١، ١٩٩٦، دار النديم، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ليل ونهار (رواية) ١٩٩٧، دار الهلال، القاهرة.
- نونا الشعنونة (قصص قصيرة) ١٩٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البشموري (رواية) «الجزء الأول» ط١، ١٩٩٨، دار الهلال، القاهرة.
- البشموري (رواية) «الجزء الثاني» ط١، ٢٠٠٠، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- البشموري (الجزئين معاً) ٢٠٠٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- حلم السنين (مسرحية) ٢٠٠٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شعور الأسلاف (قصص قصيرة)، ٢٠٠٣، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- سواقي الوقت (رواية)، ٢٠٠٣، دار الهلال، القاهرة.

دار الصفوة للطباعة
٣٢١٤٥١٥ - ٥٦٥٩٤٨٤ / ٠١٠